سعيد الأفغاني

AMERICAN UNIVERSITY LIBRARY OF BEIRUT

في أصول النحو

Gift - Syrian Univ.

مطبعة الجامعة السورية

سنة ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١م

https://archive.org/details/@user082170



حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

https://archive.org/details/@user082170

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله منزل الكتاب بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على المبعوث حياةً للعرب ورحمة للعالمين .

كانت كليات الجامعة السورية حتى العام الدراسي (١٩٤٨ — ١٩٤٩) تتبع في تدرج طلابها نظام السنين المرعي في جامعات بريطانيا وامريكا ومصر ، ثم رأى الاكثرون من الاساتذة في كلية الآداب وكلية العلوم اتخاذ نظام الشهادات المرعي في جامعات فرنسا ؛ فسمى قسم اللغة العربية في كلية الآداب لطلابه شهادات ثلاثاً يؤدونها على النسق الآتي :

١ — شهادة تاريخ العرب والاسلام في السنة الثانية
٢ — « علوم اللغة العربية « الثالثة
٣ — « الآداب العربية « الرابعة

أما السنة الأولى فسميت شهادتها بـ (الثقافة العامة) ويتلقى فيها الطلاب محاضرات في اللغة العربية وآدابها وفي التاريخ والجغرافية ، وفي علم الاجتماع ، مع دروس في اللغة الاجنبية التي يتابع الطالب دراستها طول السنين الأربع دون انقطاع .

وكان عليّ وضع منهاج للنحو والصرف في شهادة (علوم اللغة العربية) على وجه ينسجم في الجملة هو ومناهج التفسير والحديث وعلوم البلاغة وفقه اللغة في الشهادة نفسها ، فآثرت أن يدرس الطلاب النحو فيها عن طريق الأدوات، وأن تكون ثقافتهم فيه

https://archive.org/details/@user082170

ثقافة شواهد كما هي ثقافة قواعد ، فاخترت لهم بحوثهم جاعلا مرجعهم الاساسي فيها كتاب (مغني اللبيب) لابن هشام ، أما الصرف فيدرسون بحوثاً فيه من وجهتي النظر الكوفية والبصرية في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري .

وقد ارتحت إلى ثمرات هذا المنهج مدى سنتين ، وقدمت بين يدي دراستهم تلك ، محاضرات أربعاً في (الاحتجاج ، والقياس ، والاشتقاق ، والخلاف) هي مادة هذا الكتاب . حرصت في هذه المباحث على أن يتزود الطلاب بمادة صالحة فيها مع مسايرة النظرة التاريخية على قدر الامكان ، وراعيت فيها مستواهم وحاجتهم ، ولولا ذلك لوجب طي بعض ما نشر ونشر بعض ما طوي ، فكثير من القضايا مررت به خطفاً لأنه بحث باسهاب في دراستهم السابقة .

وكنت أود التريث في الطبع حتى أنهي موضوعات اخرى في (الأدوات في اللغة العربية) وأعيد النظر فيما كتبت ، لكن عناء الطلاب في الاستملاء والنفقة الغالية التي يكلفهم إياها النسخ بالآلة الكاتبة ، ثم كثرة الخطأ والتصحيف من بعد العناء والانفاق .. كل ذلك حمل مجلس كلية الآداب على اقتراح الطبع في مطبعة الجامعة السورية .

وأنا موقن بأن بين هذه المحاضرات والكمال الذي أتصوره لها مراحل فساحاً ، وأن عمل الانسان أبداً في حاجة الى الاصلاح ، وأن الخطوات العلمية لا تسدد إلا بالنقد يُسهم فيه كل من عنّ له رأي صالح ، وأنه ما من أحد يصغر عن أن يَنقُد كما أنه ما من أحد يكبر عن أن يُنقَد . ولست أضمن من عملي هذا اكثر من أني بذلت فيه جهداً بإخلاص ؛ فإن خرج منه قارئه المثقف ممتلئاً ايماناً بالعربية وخصائصها ومنطقيتها ثم بتقصيرنا حيالها التقصير الأكبر ، رجوت أن يكون من ذلك حافز للقادرين على الإتمام ، وكان ذلك حسبي من جهدي .

أسأل الله أن يجعلنا في عداد النافعين المنتفعين « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » وأن يزيدنا علماً وعملاً صالحاً ، ويأخذ بأيدينا جميعاً إلى ما فيه خير البلاد والعباد .

دمشق : كلية الآداب

١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م

سعيد الافغاني

https://archive.org/details/@user082170

الاحتجاج

في اللغة العربية

https://archive.org/details/@user082170

الاحتجاج

(١)

مقدمة تاريخية

يراد بالاحتجاج هنا إثبات صحة قاعدة ، أو استعمال كلمة أو تركيب ، بدليل نقلي صح سنده الى عربي فصيح سليم السليقة على ماسيأتي تفصيله في موضعه .

وإنما احتاج القوم الى الاحتجاج لما خافوا على سلامة اللغة العربية بعد أن اختلط اهلها بالاعاجم إثر الفتوح وسكنوا بلادهم وعايشوهم ، ونشأ عن ذلك بسنة الطبيعة أخذ وعطاء في اللغة والافكار والاخلاق والأعراف . وتنبه أولو البصر الى أن الامر آيل الى إفساد اللغة وضياع العصبية من جهة ، والى التفريط في صيانة الدين من جهة ثانية ، اذ كانت سلامة أحكامه موقوفة على حسن فهم المستنبط لنصوص القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكان في ضعف العربية تضييع لهذا الفهم .

يعتبر اللحن الباعث الاول على تدوين اللغة وجمعها ، وعلى استنباط قواعد

https://archive.org/details/@user082170

النحو وتصنيفها ؛ فقد كانت حوادثه المتتابعة نذير الخطر الذي هب على صوته أولو الغيرة على العربية والاسلام ، ولا بأس من عرض تاريخي سريع لبعض أحداثه المتتابعة :

بدأ اللحن قليلاً خفيفاً منذ أيام الرسول على مايظهر، فقد لحن رجل بحضرته فقال : « أرشدوا أخاكم فانه قد ضل »(١) والظاهر أيضاً أنه كان معروفاً بهذا الاسم نفسه « اللحن » بدليل أن السيوطي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لي اللحن »(٢) وقد كان أبو بكر الصديق يقول : « لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن » .

فاذا بلغنا عهد عمر رأينا المصادر تثبت عدداً من حوادث اللحن، فتذكر أن(٣) عمر مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم فقالوا : « انا قوم متعلمين » فأعرض مغضباً وقال : « والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم » وورد الى عمر كتاب أوله : « من أبو موسى الأشعري » فكتب عمر لأبي موسى بضرب الكاتب سوطاً . والانكى من ذلك تسرب اللحن الى قراءة الناس للقرآن فقد قدم اعرابي في خلافة عمر فقال : « من يقرئني شيئاً مما أنزل على محمد ؟ » فأقرأه رجل سورة براءة فقال :

« وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسولِه .. »(٤) فقال الأعرابي : « ان يكن الله برىء من رسوله فأنا أبرأ منه » فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه فقال : « يا أمير المؤمنين ، إني قدمت المدينة .. .

---

(١) الخصائص لابن جني ١ / ٤٠٨ (مطبعة الهلال بمصر ١٩١٣) .

(٢) المزهر للسيوطي ٢/٣٩٧ طبعة (دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة) بعناية محمد أحمد جاد المولى ورفيقيه .

(٣) معجم الأدباء ١/٦٧ مطبوعات دار المأمون .

(٤) سورة التوبة ٩/٣ .

https://archive.org/details/@user082170

وقص القصة » فقال عمر : « ليس هكذا يا أعرابي » فقال : « كيف هي يا امير المؤمنين ؟ » فقال « ... أن الله بريء من المشركين ورسولُه .. » فقال الاعرابي : « وأنا أبرأ ممن برئ الله ورسولُه منهم » . فأمر عمر ألا يقرئ القرآن الا عالم باللغة .»(١)

وتتقدم خطوة في الزمن فيقص علينا ابن قتيبة أن رجلا دخل على زياد فقال له: « ان أبينا هلك وان أخينا غصبنا على ميراثنا من أبانا » فقال زياد :« ما ضيعت من نفسك اكثر مما ضاع من مالك » وأن أعرابياً سمع مؤذناً يقول : « أشهد أن محمداً رسولَ الله » فقال : « ويحك، يفعل ماذا ؟ »(١) .

وأن أعرابياً دخل السوق « فسمعهم يلحنون فقال : سبحان الله ! يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح ! »(٢) .

ثم شاع في العصر الاموي حتى تطرق الى البلغاء من الخلفاء والامراء كعبدالملك والحجاج . والناس يومئذ تتعاير به ، وكان مما يسقط الرجل في المجتمع ان يلحن، حتى قال عبد الملك وقد قيل له (أسرع اليك الشيب) : « شيبني ارتقاء المنابر مخافة اللحن(٣) .

والحجاج على أنه من الخطباء الأبيناء البلغاء ،كان في طبعه تقزز من اللحن أن يقع منه أو من غيره ، فاذا وقع منه حرص على ستره وإبعاد من اطلع عليه منه ، ذكروا أنه سأل يحيى بن يعمر الليثي : « أتسمعني ألحن على المنبر ؟ » فقال يحيى : « الأمير أفصح الناس الا أنه لم يكن يروي الشعر » قال : « أتسمعني ألحن حرفاً ؟ » قال : « نعم ، في آي القرآن » قال : « فذاك أشنع ، وما هو ؟ » قال تقول :

---

(١) نزهة الألباء ص٧ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٧/١١٠ مطبعة الترقي بدمشق ١٣٥١ﻫ وانظر الخصائص لابن جني ٤٠٨/١ وعيون الاخبار

(٢) عيون الاخبار ١٥٩/٢ .

(٣) مخطوطة الظاهرية من تاريخ دمشق لابن عساكر رقم ٢٢ تاريخ ج٥ الورقة ١/٤٩٠ .

https://archive.org/details/@user082170

« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها أحبُّ اليكم من الله ورسوله .. »(١) تقرؤها (أحب) بالرفع ، فأنف الحجاج أن يطلع له رجل على لحن فبعث به الى خراسان(٢). وكان الحجاج يعجب بفصاحة يحيى هذا فسأله يوماً : « أخبرني عن عنبسة بن سعيد : أيلحن؟» قال : « كثيراً » قال : « أفأنا ألحن ؟ » قال : « لحناً خفيفاً » قال : « كيف ذلك ؟ » قال تجعل (أنّ : إنّ) و (إنّ : أنّ) ونحو ذلك . قال : « لا تساكني ببلد ، اخرج(٢) ».

وهؤلاء تطرق اليهم قليل من اللحن لبعدهم عن قومهم في الجزيرة مع أنهم نشؤوا فيها وترعرعوا واكتهلوا ، فلما كان من بعدهم عظم فشو اللحن فيهم حتى كان من أعظم المصائب في نفس عبد الملك أن ابنه الوليد لحانة ، وأنه أخذه بتعلم العربية فلم يفلح. ونقلوا عن عبد العزيز بن مروان الأمير الأموي المعروف وهو أخو عبد الملك لحناً ، على أن عبد العزيز هذا وهو من أفصح الناس كان « يعطي على العربية ويحرم على اللحن حتى قدم عليه زوار من أهل المدينة وأهل مكة من قريش فجعل يقول للرجل منهم : « من أنت ؟ » فيقول : « من بني فلان » فيقول للكاتب : « أعطه مئتي دينار » .. حتى جاءه رجل من بني عبد الدار فقال : « من أنت ؟ » فقال : « من بنو عبد الدار»

---

(١) سورة التوبة ٩ـ٢٤ .

(٢) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٤ـ٦٥ (روضة الشام ١٣٣٢ هـ) .

ذكر ابن قتيبة : أن الحجاج أمّ قوماً فقرأ « والعاديات ضبحاً » وقرأ في آخرها : « أن ربهم بهم يومئذ خبير » بنصب (أن) ثم تنبه على اللام في (لخبير) وأن (ان) قبلها لا تكون الا مكسورة فحذف اللام من (لخبير) فقرأ : « ان ربهم بهم يومئذ خبير ». ـ عيون الأخبار ٢/١٦٠ .

فقال : « تجدها من جائزتك » وقال لكاتبه : « أعطه مئة دينار »(١) .

فأنت تجد مما تقدم أن الخوف على العربية له ما يبرره من النذر ، وأنه تمكن في النفوس حتى تضافرت جهود العلماء وذوي السلطان على صيانة العربية ، وأن الحرمان

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية رقم ٢٢ تاريخ . ج ٥ الورقة ١/٤٥٠) .

هذا ومن المفيد ذكر الباعث على عناية عبد العزيز بن مروان بالعربية فقد روى ابن عساكر قبل هذا الخبر أنه « دخل على عبد العزيز رجل يشكو صهراً له فقال : « ان ختني فعل بي كذا وكذا » فقال له عبد العزيز : « من ختنَك ؟ » فقال له « ختنني الختان الذي يختن الناس » فقال عبد العزيز لكاتبه : « ويحك ، بم أجابني ؟ » فقال له : « أيها الامير انك لحنت وهو لا يعرف اللحن ، كان ينبغي أن تقول له : « ومن ختنُك ؟ » فقال عبد العزيز : « أراني أتكلم بكلام لا يعرفه العرب ، لا شاهدت الناس حتى أعرف اللحن . » فأقام في البيت جمعة لا يظهر ومعه من يعلمه العربية ، فصلى بالناس الجمعة وهو من أفصح الناس . » اهـ .

أما أمر الوليد الذي مر آنفاً فقد أهم عبد الملك حتى أفضى بذات نفسه يوماً الى روح بن زنباع قائلا :

« يا أبا زرعة ، قد غلبني الوليد باللحن ، وسأظهر العشية كآبة فسلني عنها ودعني والوليد . » فلما أذن العشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان وروح ، فقال له روح : « ما هذه الكآبة يا أمير المؤمنين ؟ لا يسوؤك (الله) ولا يريك مكروهاً ! » قال : « ذكرت ما في عنقي من هذه الامة ، والى من أصيّر أمرها بعدي ؟ » قال له روح : « يغفر الله لك يا أمير المؤمنين . فأين أنت عن الوليد سيد شباب العرب ؟ » قال : يا أبا زرعة ، لا ينبغي أن يلي أمر العرب الا من يتكلم بكلامها » فقام الوليد فدخل منزله وجمع اليه أصحاب النحو ، فأقام ستة أشهر معهم ، وخرج يوم خرج وهو أجهل بالنحو منه يوم دخل ، فقال عبد الملك : « قد أجهد وأعذر » المصدر السابق ، الورقة ١/٤٢١ .

واحتُج على عبد الملك بلحن الوليد هذا ، فقد ذكر ابن عساكر أن عبد الملك قال لرجل من قريش : « انك لرجل لولا أنك تلحن » فقال : « وهذا ابنك الوليد يلحن » قال عبد الملك : « لكن ابني سليمان لا يلحن » قال الرجل : « وأخي فلان لا يلحن ! » الورقة ١/٤٢٤

وكان لا يستطيع تجنب اللحن حتى على المنبر ، ذكره أبو الزناد يوماً فقال : « كان لحاناً كأني أسمعه على منبر النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا أهلُ المدينة ! » .

بل كان لا يستطيع تجنبه حتى في آيات القرآن : قرأ يوماً على المنبر « يا ليتها كانت القاضيةُ » وضم التاء ، فقال عمر بن عبد العزيز (وكان تحت المنبر) : « ياليتها كانت عليك وأراحتنا منك ! » الورقة ١/٤٢٤ .

https://archive.org/details/@user082170

من المال أو العمل مما كان يصيب اللحانة ، وأن فصاحة المرء قد ترفعه الى الولايات والغنى وتزيدشأنه عندأولي الامر ؛ وهذا من طرف السلطان كاف في الترغيب والترهيب. وسؤال الحجاج عن لحن بعض الناس ذوي الشأن مشعر باهتمام الحكومة والمجتمع بأمر اللحن . وذلك طبيعي من دولة قامت على العصبية العربية بعد أن رأت اللحن يفشو في الطبقات الرفيعة من الأمراء والحكام وأشراف الناس ، وفي قصة بشكست (؟) النحوي تعبير واضح عن أمرين : فشو اللحن ونظرة المثقفين اليه، ولا بأس في ايرادها ففيها طرافة وفيها ظرف :

« وفد بشكست (؟) النحوي على هشام بن عبد الملك ، فلما حضر الغداء دعاه هشام ، وقال لفتيان بني أمية : « تلاحنوا عليه » ، فجعل بعضهم يقول : « يا أمير المؤمنين رأيت أبي فلان .. » ويقول آخر : « مر بي أبي فلان .. » ونحو هذا ؛ فلما ضجوا أدخل يده في صحفة فغمسها ثم طلى لحيته وقال لنفسه : « ذوقي ، هذا جزاؤك في مجالسة الأنذال ! »[1] .

الى هذا المدى بلغ امر اللحن في المئة الاولى للهجرة والدولة عربية محضة ، والعصبية ذات سلطان ، والقوم حديثو عهد بجزيرتهم، وبيت الخلافة أعرق بيوت قريش شرفاً ومجداً وبلاغة وأقواها عصبية وعروبة. فلنحاول تبيان مااختطأهل العربية من خطط يعالجون بهااستفحال الداء، وهل كانوا الى الشدة حين شرطوا للاحتجاج تلك الشروط التي أسقطت الاحتجاج بكلام كثير من العرب حتى في زمن الجاهلية .؟

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة الظاهرية) الجزءالسابق الورقة ١/٤٥٤ ثم قال ابن عساكر فيه : « وكان نحوياً يأخذ عنه أهل المدينة ، وكان يذهب مذهب الشراة ويكتم ذلك، فلما ظهر أبو حمزة الشاري خرج معه فقتل فيمن قتل بخلافة مروان بن محمد . »

https://archive.org/details/@user082170

(٢)

العلوم التي يحتج لها

يحتج بالكلام العربي لغرضين : غرض لفظي ويدور حول صحة الاستعمال من حيث اللغة والنحو والصرف ، وغرض معنوي لا علاقة له باللفظ . والظاهر أن فريقاً من العلماء حجّر واسعاً فأسقط الاحتجاج بكلام الاسلاميين والمولدين في اللفظ والمعنى جميعاً ، ولم يلتفت الجمهور الى هذا التحجير لعقمه وبعده عن طبيعة الحياة ، بل قصروا الاحتجاج بكلام المولّدين على المعاني فقط ، واحتجوا بكلام القدماء في اللفظ والمعنى. وخير من يمثل هؤلاء ابن جني ، فقد احتج في باب المعاني بشعر المتنبي وهو مولّد ، ولعله توقع انكاراً من المتزمتين فأتبع احتجاجه بعلة مقبولة معرّضاً بمذهب التزمت هذا، قال في صدد كلامه على مجيء القول والكلام مما لا يعقل :

« قال عنترة :

لو كان يدري : ما المحاورة ؟ اشتكى ولكان ـ لو علم الكلام ـ مكلمي

وامتثله شاعرنا (يعني المتنبي) آخراً فقال :

فلو قدر السنان على لسانٍ لقال لك السنان كما أقول

وقال :

لوِ تعقلِ الشجر التي قابلتها مدت محيية إِليك الأغصنا

ولا تستنكر ذكر هذا الرجل وان كان مولداً في أثناء ما نحن عليه من هذا الموضع وغموضه ، ولطف متسرّب به ، فإن المعاني يتناهبها المولدون كما يتناهبها المتقدمون ، وقد كان أَبو العباس (يعني المبرد) ـ وهو الكثير التعقب لجلة الناس ـ احتج بشيء من شعر حبيب بن أَوس الطائي في كتابه (الاشتقاق) لما كان غرضه فيه معناه دون لفظه فأنشد فيه له :

لو رأينا التوكيد خطة عجز ماشفعنا الأُذان بالتثويب

واياك والحنبلية بحتاً فانها خلق ذميم ، ومطعم على علاته وخيم . »[١]

ثم استقر الرأي على مافصّل ابن جني من أَئمة المئة الرابعة للهجرة ، ففصلوا بين العلوم التي يحتج لها بكلام القدماء والعلوم التي يحتج لها بكلام الفصحاء عامة قدماء ومولدين ، وتبلور هذا الرأي وأَصبح من المسلمات ، فهذا عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الأُدب ومن أَعيان العلماء في المئة الحادية عشرة يعبر عنه بعد سبعة قرون بنقله كلام الرعيني الاندلسي من علماء المئة الثامنة في شرح بديعية رفيقه ابن جابر ، قال الرعيني :

« علوم الأُدب ستة : اللغة والنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع ؛ والثلاثة الاولى لا يستشهد عليها الا بكلام العرب (يريد القدماء) دون الثلاثة الاخيرة فإنه يستشهد عليها بكلام المولدين لأَنها راجعة الى المعاني ، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع الى العقل ، ولذلك

---

(١) الخصائص ١ / ٢٢ .

قبل من اهل هذا الفن الاستشهاد بكلام البحتري وأَبي تمام وأبي الطيب وهلم جرا.»[١]

(٣)

من يحتج به

بحث علماء العربية فيمن نقل الرواة عنهم من أهل المدر والوبر قدماء ومحدثين، وتقصوا أحوالهم ونقدوها، فاجتمعوا على الاحتجاج بقول من يوثق بفصاحته وسلامة عربيته، ونحن عارضون لأصناف هؤلاء زمانا ومكانا وأحوالا:

فأما الزمان فقد قبلوا الاحتجاج بأقوال عرب الجاهلية وفصحاء الاسلام حتى منتصف القرن الثاني سواء أسكنوا الحضر أم البادية. أَما الشعراء فقد صنفوا أَصنافاً أربعة: جاهليين لم يدركوا الاسلام، ومخضرمين أدركوا الجاهلية والاسلام، وإسلاميين لم يدركوا من الجاهلية شيئاً، ومحدثين أولهم بشار بن برد.[٢] والاجماع انعقد على صحة الاستشهاد بالطبقتين الاوليين واختلفوا في الطبقة الثالثة، وذهب عبد القادر البغدادي صاحب خزانة الادب الى جواز الاستشهاد بها[٣] اما

---

(١) خزانة الادب للبغدادي ١/٢٠ (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ).

(٢) الاقتراح ص ٣٢،

(٣) خزانة الادب ١/٢٠ هذا ويستدل المحتجون لذلك باستشهاد سيبويه بشعر بشار بن برد في (الكتاب) ويرد المعترضون بأنه فعل ذلك خوفاً من لسانه.

https://archive.org/details/@user082170

الطبقة الرابعة فلا يستشهد بكلامها في علوم اللغة والنحو والصرف خاصة. وكان آخر من يحتج بشعره على هذا الاساس بالاجماع ابراهيم بن هرمة (٧٠ ـ ١٥٠هـ) الذي ختم الاصمعي به الشعر [١]. أما أهل البادية فقد استمر العلماء يدونون لغاتهم حتى فسدت سلائقهم في القرن الرابع الهجري. وعلى هذا «أجمعوا على انه لايحتج بكلام المولدين والمحدثين في اللغة والعربية» [٢].

وأما المكان أو بعبارة اخرى القبائل، فقد اختلفت درجاتها في الاحتجاج على اختلاف قربهم وبعدهم من الاختلاط بالامم المجاورة، فاعتمدوا كلام القبائل في قلب جزيرة العرب، وردوا كلام القبائل التي على السواحل او في جوار الاعاجم، واليك تصنيف أبي نصر الفارابي لهم في الاحتجاج:

أ ـ «كانت **قريش** أجود العرب انتقاء [٣] للافصح من الالفاظ وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً وأبينها ابانة عما في النفس.

---

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ (مطبعة المعارف بحيدر آباد ١٣١٠ هـ).

(٢) المصدر السابق ص ٣١ وقد مال الزمخشري الى استثناء أئمة العربية من ذلك داعياً الى جعل الوثوق بكلامهم كالوثوق برواياتهم.

(٣) قال ابن فارس: «وكانت قريش مع فصاحتها .. اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب.» ـ الصاحبي ص ٢٣ (المطبعة السلفية بالقاهرة).

https://archive.org/details/@user082170

والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم :

قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف ،

ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

ب - وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم التي تجاور سائر الامم الذين حولهم :

لم يؤخذ من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط ،

ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من اياد فإنهم كانوا مجاورين لاهل الشام وأكثرهم نصارى يقرؤون بصلاتهم بغير العربية ،

ولا من تغلب ولا النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية (؟).

ولا من بكر لانهم كانوا مجاورين للنبط والفرس ،

ولا من من عبد القيس لانهم كانوا من سكان البحرين مخالطين للهند والفرس ،

ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس ،

ولا من اهل اليمن اصلاً لمخالطتهم للهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم ،

https://archive.org/details/@user082170

ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الامم المقيمين عندهم ،

ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب ،قد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم. .» (١)

---

(١) الاقتراح للسيوطي ص ٢٢ نقلا عن كتاب الفارابي (الالفاظ والحروف) .
هذا وقد أورد الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مقابلة طريفة بين لغات اهل مكة والبصرة والكوفة، يفيد ايرادها في شرح الظاهرة المذكورة اعلاه، قال الجاحظ : « اهل الامصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ،ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ اهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .. وقال اهل مكة لمحمد بن مناذر الشاعر : « ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ، انما الفصاحة لنا اهل مكة . »فقال محمد بن مناذر : « اما الفاظنا فأحكى الالفاظ للقرآن واكثرها موافقة له ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم : انتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول (قدر) ونجمعها على قدور، وقال الله عزوجل « وجفان كالجواب وقدور راسيات».
وانتم تسمون البيت (علية) وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسميه (غرفة) ونجمعه على غرف وغرفات ،وقال الله « غرف من فوقها غرف مبنية » وقال : « هم في الغرفات آمنون » ، وأنتم تسمون الطلع (الكافور والاغريض) ونحن نسميه الطلع وقال الله « ونخل طلعها هضيم » . . . فعد عشر كلمات لم احفظ انا منها غير هذا .
الا ترى ان اهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من الفاظهم ، ولذلك يسمون البطيخ (الخربز) ويسمون . . . الخ .
وكذا اهل الكوفة يسمون المسحاة : (بال) وبال بالفارسية : ولو علق ذلك لغة اهل البصرة اذ نزلوا بأدنى بلاد فارس واقصى بلاد العرب كان ذلك اشبه، اذ كان اهل الكوفة نزلوا بأدنى بلاد النبط واقصى بلاد العرب .ويسمي اهل الكوفة الحوك (البقلة الحمقاء) باذورج والباذورج بالفارسية والحوك كلمة عربية . واهل البصرة

https://archive.org/details/@user082170

وكأن هذا التصنيف حاز القبول وجرى عليه العمل وكان الخروج عليه مدعاة الى النقد، ولما اعتمد ابن مالك على لغات لخم وخزاعة وغسان، تعقبه باللوم ابو حيان فقال في شرح التسهيل: «ليس ذلك من عادة أَئمة هذا الشأن[١]».

وأَما أَحوال هؤلاء العرب المحتج بهم فخيرها ما كان أَعمق في التبدي وأَلصق بعيشة البادية، ولذا كان مما يفخر به البصريون على الكوفيين اخذهم عن الأعراب اهل الشيح والقيصوم وحرشة الضباب وأَكلة اليرابيع ويقولون للكوفيين «أخذتم عن أَكلة الشواريز وباعة الكواميخ[٢]». وقد نص الفارابي بعد قوله المتقدم آنفاً على صناعة هؤلاء الاعراب وصفاتهم فقال: «كانت صنائع هؤلاء التي بها يعيشون الرعاية والصيد واللصوصية، وكانوا أقواهم نفوساً وأَقساهم قلوباً وأَشدهم توحشاً وأمنعهم جانباً وأَشدهم حمية وأَحبهم لأن يَغلبوا ولا يُغلبوا، وأَعسرهم انقياداً للملوك، وأَجفاهم أَخلاقاً وأقلهم احتمالاً للضيم والذلة.»[١]

اذا التقت اربع طرق يسمونها (مربعة) ويسموها اهل الكوفة (جهارسو) والجهار بالفارسية. ويسمون السوق اوالسويقة وازار والوازار بالفارسية. ويسمون القثاء خياراً والخيار فارسية. ويسمون المجذوم ويذي بالفارسية. — ا هـ ١ / ٣١ طبعة السندوبي.

وبهذه الامثلة التي طغى فيها الأثر الاجتماعي على الأثر الجغرافي تدرك الحافز لعلماء العربية على اسقاط من اسقطوا في الاحتجاج من العرب في الجاهلية والاسلام.

(١) الاقتراح ص ٢٤.

(٢) انظر البيان والتبيين ١/١٢٢ الشيراز اللبن المصفى، والكامخ: ادام – انظر القاموس المحيط.

وتستطيع ان تجعل مرد الامر كله ـ بعدما تقدم لك ـ الى الوثوق من سلامة لغة المحتج به وعدم تطرق الفساد اليها ، وهذا هو الضابط في التصنيف الزماني والمكاني اللذين مرا بك ، فأنت تعلم (اسقاط العلماء الاحتجاج بشعر أمية بن أبي الصلت وعدي بن زيد العبادي وحتى الاعشى عند بعضهم ، لمخالطتهم الاجانب وتأثر لغتهم بهذه المخالطة ، حتى حمل شعرهم عدداً غير قليل من الفاظ ومصطلحات لاتعرفها العرب ، وكل هؤلاء شعراء جاهليون ؛ بينما يذهب فريق الى الاحتجاج بكلام الشافعي المتوفى في القرن الثالث للهجرة ، حتى نص الامام احمد بن حنبل على ان (كلام الشافعي في اللغة حجة)[١] لسلامة نشأته وتقلبه في البيئات العربية السليمة . قيل لبشار : «ليس لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئاً استنكرته العرب من الفاظهم وشُك فيه ، وانه ليس في شعرك مايشك فيه .» قال: «ومن أين يأتيني الخطأ ؟ ولدت هاهنا ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ ، وان دخلت الى نسائهم فنساؤهم افصح منهم ، وأَيفعت فأبديت الى ان ادركت ؛ فمن أَين يأتيني الخطأ[٢] .

وكلمة بشار هذه دليل قاطع على وجود بيئات في المدن سليمة من اللحن لزمنه في المئة الثانية للهجرة .

---

(١) الاقتراح ص ٢٤ .

(٢) الاغاني ٣/٢٦ طبعة الساسي

ويعجبني كثيراً قول ابن جني في هذا الموضوع في باب (ترك الاخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر) :

« علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل ، ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر . وكذلك أيضاً لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها ، لوجب رفض لغتها وترك تلقي ما يرد عنها ، وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا لأنا لا نكاد نرى بدوياً فصيحاً ، وإن نحن آنسنا منه فصاحة في كلامه لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه .. »(١).

---

(١) الخصائص ٤٠٥/١ ثم ذكر ابن جني أدلة على فساد سليقة الأعراب في زمنه فقال : « وقد كان طرأ علينا احد من يدعى بالفصاحة البدوية ويتباعد عن الضعفة الحضرية ، فتلقينا اكثر كلامه بالقبول له ، وميزناه تمييزا حسن في النفوس موقعه الى ان انشدني يوماً شعرا لنفسه يقول في بعض قوافيه (أشأأها ، وأدأأها) فجمع بين الهمزتين كما ترى. واستأنف من ذلك مالا أصل له، ولا قياس يسوغه، نعم وأبدل الى الهمز حرفاً لاحظ له في الهمز ، بضد ما يجب ، لانه لو التقت همزتان عن وجوب صنعة للزم تغيير احداهما ، فكيف ان يقلب الى الهمز قلباً ساذجاً عن غير صنعة ما لا حظ له في الهمز ، ثم يحقق الهمزتين جميعاً ؟ هذا مما لا يبيحه قياس ولا ورد بمثله سماع ... الخ

(٤)

ما يحتج به

نقسم الكلام المحتج به إلى أقسام ثلاثة نتكلم على كل منها بالترتيب تيسيراً للبحث :

١ — القرآن الكريم ، ٢ — الحديث الشريف ، ٣ — كلام العرب .

١ — لم يتوفر لنص ماتوفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته ، وعناية العلماء بضبطها وتحريرها متناً وسنداً ، وتدوينها وضبطها بالمشافهة عن أفواه العلماء الأثبات الفصحاء الابيناء من التابعين ، عن الصحابة ، عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فهو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل الينا بها في الأداء والحركات والسكنات ، ولم تعتن أمة بنص ما اعتنى المسلمون بنص قرآنهم .

وعلى هذا يكون هو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج به في اللغة والنحو والصرف وعلوم البلاغة ، وقراءاته جميعاً الواصلة الينا بالسند الصحيح حجة لاتضاهيها حجة . أما طرقه المختلفة في الأداء فهي كذلك ، إذ أنها مروية عن الصحابة وقراء التابعين ، وهم جميعاً ممن يحتج بكلامهم العادي بله قراءاتهم التي تحروا ضبطها جهد طاقتهم كما سمعوها من رسول الله ، ولا ننسى بعد ذلك : أن أئمة القراء كأبي عمرو بن العلاء والكسائي ويعقوب الحضرمي هم أئمة في اللغة والنحو أيضاً . وقد جرى عرف العلماء

https://archive.org/details/@user082170

على الاحتجاج برواياته سواء أكانت متواترة أم روايات آحاد أم شاذة .

والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها في التلاوة يحتج بها في اللغة والنحو [1] ، إذ هي – على كل حال – أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن ، ولئن كان القراء أسقطوا القراءة بها لعدم وثوقهم أنها قراءة النبي نفسه ، إن على علماء اللغة والنحو أن يعضوا عليها بالنواجذ ؛ إذ كان رواتها الأعلون عرباً فصحاء سليمة سلائقهم ، تبنى على أقوالهم قواعد العربية . وأنت تعرف أن النحاة يحتجون بكلام من لم تفسد سلائقهم من تابعي التابعين ، فلأن يحتجوا بقراءة أعيان التابعين والصحابة أولى ، ورجحان قراءات القرآن في حجيتها اللغوية والنحوية على شواهد النحاة عُرفٌ قديم تعاوره العلماء .

وهنا أمر ينبغي التنبيه اليه بشيء من التفصيل ، فالحق أن موقف النحاة من النصوص العربية حين وضعهم القواعد فيه خلل واضطراب من الناحية المنهجية ، وأن موقف القراء علمياً ومنطقياً ومنهجياً سديد متسق واليك البيان :

أقل مايشترط القراء لصحة القراءة شروط ثلاثة :

١ – صحة السند بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ – موافقتها رسم المصحف المجمع عليه .

٣ – موافقتها وجهاً من الوجوه العربية .

---

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٧

https://archive.org/details/@user082170

وكثيراً ما صرحوا في مناسبات عدة أن القراءة سنة متبعة وأنها لا تخضع لغير السماع الصحيح. أما القراءة الشاذة عندهم فما توفر فيها صحة السند وموافقة العربية وتخلف الشرط الثاني، وهذه هي التي منعوا القراءة بها في الصلاة، وقد ظهر لك إذاً أن القراءة الشاذة لا يقدح في الاحتجاج بها عربيةً قادح، فمخالفة الرسم بزيادة كلمة أَو نقص حرف لا تؤثر في صحة بناء القواعد عليها. هذا وخير تعبير عن منهج القراء قول أحد أئمتهم أبي عمرو الداني:

«وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها.»[1]

هذا دستور القراء أثبتوه في كتبهم وكانوا في تطبيقه على غاية من الدقة والأمانة، فكانوا منهجيين منطقيين قولاً وعملاً؛ فهل كان النحاة كذلك؟

الحق أَن النقد يجد في صف النحاة وفي قواعد نحوهم ثغراً عدة ينفذ منها إلى الصميم، فهم يريدون بناء قواعدهم على كلام العرب فيجمعون نتفاً نثرية وشعرية من هذه القبيلة ومن تلك، من أعرابي في الشمال إلى امرأة في الجنوب، ومن شعر لا يعرف قائله إلى جملة غير منسوبة، يجمعون

---

(١) النشر في القراءات العشر ١/١٠

هذا إلى أقوال معروفة مشهورة، ويضعون قواعد تصدق على أكثر ما وصل اليهم بهذا الاستقراء الناقص الذي لا يستند إلى خطة محكمة في الجمع، ثم يسددون هذه القواعد بمقاييس منطقية يريدون اطرادها في الكلام، حتى إذا أتت بعضهم قراءة صحيحة السند تخالف قاعدته القياسية، طعن فيها وإن كان قارئها أبلغ وأعرب من كثير ممن يحتج النحوي بكلامهم !! فلا استقراؤه كامل أو كاف، ولا لشواهده التي استند اليها بعض ما للقراءة الصحيحة من القوة، ولا اللغة تخضع للمقاييس المنطقية التي ابتدعها.

وخير ما يصف اضطراب موقفهم هذا قول الرازي :

« إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم أولى، وكثيراً ما ترى النحويين متحيرين في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فاذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم فإنهم إذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلاً على صحتها، فلأن يجعلوا ورود القرآن دليلاً على صحتها كان أولى »[1].

وصحيح قول ابن حزم في الفصل : « من النحاة من ينتزع من المقدار الذي يقف عليه من كلام العرب حكماً لفظياً ويتخذه مذهباً، ثم تعرض له آية على خلاف ذلك الحكم فيأخذ في صرف الآية عن وجهها ».

والمنهج السليم في ذلك ان يمعن النحاة في القراءات الصحيحة السند، فما خالف

---

(١) تفسير فخر الدين الرازي ٣/١٩٣

https://archive.org/details/@user082170

منها قواعدهم صححوا به تلك القواعد ورجعوا النظر فيها ، فذلك أعود على النحو بالخير . أما تحكيم قواعدهم الموضوعة في القراءات الصحيحة التي نقلها الفصحاء العلماء فقلب للأوضاع وعكس للمنطق إذ كانت الروايات الصحيحة مصدر القواعد لا العكس .

وسيتضح لك مجافاة بعضهم للعلم والحق ، وتعصبهم الذي نستطيع رد بعضه إلى جهلهم بفن القراءة وتاريخها ، بهذه الأمثلة التي تثبت وجوب اعادة النظر فيما قعدوا من قواعد ووضعوا من مقاييس :

١ — زعم النحاة أن العرب استغنت عن ماضي (يدع) ومصدرها بماضي (ترك) ومصدرها ، فلم يردا في فصيح كلامها[١] .

وأتى بها ابن جني شاهداً لضرب خاص من الكلام فقال : «فإن كان الشيء شاذاً في السماع مطرداً في القياس تحاميت ما تحامت العرب من ذلك وجريت في نظيره على الواجب في أمثاله ، من ذلك امتناعك من (وذر) و(ودع) لأنهم لم يقولوهما ، ولا غرو أن (لا) تستعمل نظيرهما نحو وزن ووعد لو لم تسمعها ، فأما قول أبي الأسود :

ليت شعري عن خليلي ما الذي ... غاله في الحب حتى ودعه

فشاذ ، وكذلك قراءة بعضهم : « ما ودعك ربك وما قلى »[٢] .

---

(١) انظر مادة (ودع) في لسان العرب وتاج العروس.

(٢) الخصائص ١/١٠٣ وكذلك ذهب سيبويه الى ان ماضي (يدع) لم يستعمل (الكتاب ٢/٢٥٦) . وسترى انه استعمل.

https://archive.org/details/@user082170

وهم في أقوالهم هذه متهافتون خارجون على أصولهم التي أصّلوها هم أنفسهم، وإليك البيان:

أولاً — من المتفق عليه عند اللغويين والنحاة أنه لم يصل الينا من كلام العرب الا القليل ولو جاءنا وافراً لجاء علم كثير، ومن المتفق عليه عندهم «أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن».

ثانياً — بعد هذا نرى أن ما ذهب اليه النحاة واللغويون غير صحيح، فقد استعمل الكلمة أبو الأسود في بيته السابق، ووردت في قول الشاعر.

وثم ودعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر [(١)]

والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد إذا لم تخالف القياس، وكلمة (ودع) على ما مر بك من كلام ابن جنى مطردة في القياس، أما قوله (شاذة في الاستعمال) فيحبطها اعتراف النحاة بضآلة ما انتهى الينا من كلام العرب وأن أحكامهم عامة مبنية على الاستقراء الناقص، وورودها مع ذلك في شعر أبي الأسود وشعر شاعر آخر.

ثالثاً — نأتي الآن الى قراءة التخفيف في قوله تعالى (ما ودعك ربك وما قلى) فقد قرأها كذلك عروة بن الزبير وابنه هشام وهما من هما، بل ان الغريب في ذلك أن ابن جني نفسه نص في كتابه (المحتسب) على

---

(١) انظر تفسير الكشاف للزمخشري ٤/٧٦٦ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥هـ)

https://archive.org/details/@user082170

أنها قراءة النبي صلى الله عليه وسلم[١] !

وفي العباب للصاغاني : «وقد اختار النبي صلى الله عليه وسلم أصل هذه اللغة فيما روى ابن عباس أنه قرأ (ما ودعك) مخففة ، وكذلك قرأ عروة ومقاتل وأبو حيوة وابن أبي عبلة ويزيد النحوي[١] .

هذا وفي النهاية لابن الأثير (وهو معجم لألفاظ الحديث) تحت مادة (ودع) حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه استعمال المصدر الذي زعموا أنه أميت وهو قوله : « لينتهين قوم عن وَدْعهم الجمعات أو ليختمن على قلوبهم » .

والطريف أن بعض المحققين ممن تأخر زمانه عن أولئك صحح خطأهم فأثبت صاحب المصباح هذه اللغة الفصيحة في معجمه واستنكر ادعاءهم الإماتة فقال : « ودعته أدعه ودعاً تركته . . . وزعمت النحاة أن العرب أماتت ماضي يدع ومصدره واسم الفاعل ، وقد قرأ مجاهد وعروة ومقاتل وابن أبي عبلة ويزيد النحوي « ما ودعك ربك» بالتخفيف ، وفي الحديث : « لينتهين قوم عن ودعهم الجمعات . . » فقد رويت هذه الكلمة عن أفصح العرب ، ونقلت من طريق القراء فكيف يكون إماتة ؟ ! »[٢] ومثل ذلك تجده في معجم (المغرب) للمطرزي[٢] .

---

(١) انظر كتاب القراءات واللهجات ص ١٤٧

(٢) مادة (ودع) في : (المصباح المنير) ، و (المغرب) .

https://archive.org/details/@user082170

وبذلك ترى تسرب الوهي الى بعض أحكامهم إذ كانت خطتهم ينقصها الاحكام في المنهج والكفاية في الاستقراء معاً، وكان عليهم قبل إرسالها استيعاب قراءات القرآن على الأقل والاحتجاج بها.

٢ — من المعروف في العربية ان حرف العلة الزائد في الرباعي (صحيفة، عجوز، سحابة) يقلب همزة في التكسير: (صحائف عجائز سحائب)، فلما تواترت القراءة عن نافع المدني وابن عامر الدمشقي وهما إماما عظيمان من أئمة القراء في قوله تعالى (وجعلنا لكم فيها معائش) بالهمز — وهي غير قراءة الجمهور — قرروا أنها خطأ، وغالى المازني منهم فقال: «إن نافعاً رحمه الله لم يدر ما العربية؟»[1]. وخطأ همزها جميع نحاة البصرة على ما قال الزجاج.

وكان على نحاة البصرة تصحيح قاعدتهم أو تذييلها بأن العرب ربما حملت الحرف الأصلي على الزائد فعاملته معاملته إذ كان شبيهاً به في اللفظ[2] ثم عليهم ان يستشهدوا على ذلك بقراءة نافع هذه. وبذلك يزيد مذهبهم إحكاماً وانسجاماً مع أصوله التي أهمها البناء على السماع الصحيح. وأي

(١) صبح الاعشى ١/١٧٩ وانظر كلام الخفاجي على هذه الآية في حاشيته على البيضاوي.

(٢) احتج على النحاة بتواتر قول العرب (مصائب، ومنائر) وهما مثل (معايش) في كون همزتهما مقلوبة عن حرف اصلي لا زائد، فلم يسع النحاة الا المكابرة والحمل على الشذوذ.

https://archive.org/details/@user082170

سماع أَصح من قراءة نافع وابن عامر والأعرج والأعمش وزيد بن علي روايةً عن عثمان بن عفان عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهؤلاء الرواة فصحاء بمنابتهم ، علماء بتحصيلهم سليقيون عاشوا ولم يتطرق الفساد الى ملكاتهم . وتعجبني كلمة أبي حيان في تفسيره تعقيباً على نقل الزجاج المتقدم : « ولسنا متعبدين بأقوال نحاة البصرة » لأن اللغة تثبت بالنقل لا بالمقاييس المبنية على الاستقراء الناقص .

٣ — « كان أهل الشام يقرؤون (إبراهام) بألف في مواضع دون مواضع (وهي لغة أهل الشام قديما) ثم تركوا القراءة بالألف وقرؤوا جميع القرآن بالياء ... فرووا أنه قيل لمالك بن أنس : « إن أهل دمشق يقرؤون (إبراهام) فقال: «أهل دمشق بأكل البطيخ أبصر منهم بالقراءة» فقيل : « إنهم يدّعون قراءة عثمان » فقال مالك : «ها مصحف عثمان عندي» ثم دعا به فإذا فيه كما قرأ أهل دمشق ... وفي سائر المصاحف (إبراهيم) مكتوب بالياء في جميع القرآن إلا في البقرة فإنه بغير ياء »[1]

٤ — تدخل لام الأمر على المضارع الغائب في الأعم الأغلب ، وأنكر قوم دخولها على غيره ، ولم يكن لهذا الإنكار قيمة ما إذ «احتج على جواز إدخالها على المضارع المبدوء بتاء الخطاب بالقراءة الشاذة « فبذلك

---

(١) القراءات واللهجات ١٠٩ — (فثبت ان بصر اهل دمشق بالقراءة لا يقل عن بصرهم بأكل البطيخ .)

فلتفرحوا » كما احتج على إدخالها على المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة :
« .. ولنحملْ خطاياكم .. »[١].

٥ — وقال فريق لا يجوز تسكين لام الأمر بعد (ثم) إلا في ضرورة الشعر ، وقد أسقط المحققون هذا الحكم محتجين بالقراءة المتواترة : « ثم لْيقطعْ » « ثم لْيقضوا تَفَثَهم » فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام »[٢]

نكتفي بهذه الأمثلة الصرفية ذاكرين مثالين نحويين :

٦ — قال السيوطي : « كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية (قلت : يعني الصناعية التي وضعوها) وينسبونهم الى اللحن ، وهم في ذلك مخطئون فإن قراءاتهم ثابتة بالاسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها ، وثبوت ذلك دليل على جوازه في العربية ، وقد رد المتأخرون ومنهم ابن مالك على من عاب عليهم ذلك بأبلغ رد ... من ذلك احتجاجه على جواز العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار بقراءة حمزة :

---

(١) الاقتراح للسيوطي ١٧ .

(٢) نظرة في النحو للمرحوم طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي ٣٢٣/١٤ وانظر الاقتراح ص ١٨ . هذا وتمام الآية الأولى :
« من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » سورة الحج ١٥/٢٢ والآية الثانية : « ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق » سورة الحج ٢٩/٢٢

https://archive.org/details/@user082170

« ...واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحامِ إن الله كان عليكم رقيباً »[١].

وقبل ابن مالك علق الفخر الرازي على هذه القراءة وعلى منع المانعين لجوازها وعلى تجويز سيبويه لها ببيتين مجهولي القائل بقوله : « ... لأن حمزة أَحد القراء السبعة ، والظاهر أنه لم يأت بهذه القراءة من عند نفسه ؛ بل رواها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك يوجب القطع بصحة هذه اللغة ، والقياس يتضاءل عند السماع ، لاسيما بمثل هذه الأقيسة التي هي أوهى من بيت العنكبوت » ثم تعرض لاستشهاد سيبويه السابق فقال : « والعجب من هؤلاء النحاة أَنهم يستحسنون إِثبات هذه اللغة بهذين البيتين المجهولين ولا يستحسنون إِثباتها بقراءة حمزة ومجاهد ، مع أَنهما من أَكابر علماء السلف في علم القرآن ! »[٢].

٧ — في كتاب الإِنصاف لابن الانباري[٣] تفصيل الخلاف بين البصريين والكوفيين حول الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور، فقد منعه البصريون وأجازه الكوفيون محتجين بقراءة ابن عامر المتواترة :

« وكذلك زُيِّن لكثير من المشركين قتلُ أولادَهم شركائِهم ،

مضاف مفعول به مضاف إليه المصدر

يحل ما بين ... لا بين

---

(١) الاقتراح ص ١٧ والآية هي الاولى من سورة النساء

(٢) تفسير الرازي ٣/١٩٣

(٣) ١/٢٤٩

https://archive.org/details/@user082170

لِيُرْدُوهم وَلِيَلْبِسوا عليهم دينَهم ولوشاء اللهُ مافعلوه فذرْهم وما يفترون »(١)

ولكن البصريين من النحاة تسرعوا فوهّوا هذه القراءة تعصباً لمقاييسهم النظرية . ومع أن القراءة ليست فنهم فقد حملهم التعصب على القطع في مسألة من غير فنهم، لتسلم لهم قواعدوضعوها دون استقراءواف. فقد قالوا : إن المضاف والمضاف اليه في حكم الشيء الواحد والكلمة الواحدة فلا يفصل بينهما بأجنبي ، وإنما جاز الفصل بالظرف والجار والمجرور لأننا نتسامح فيهما مالا نتسامح في غيرهما. وهذا قول قد يتسق لو أن اللغة اخترعوها هم واخترعوا لها مقاييسها ،أما واللغة سماع فقولهم لا ينهض حجة في شيء . ومن الذي أوحى اليهم أن المضاف والمضاف اليه بمنزلة الكلمة الواحدة ؟ وهلا فصلوا جزءي الكلمة الواحدة بالظرف والجار والمجرور كما فعلوا بالمتضايفين إذا كان الأمر فيهما - كما يقولون - واحدا؟

ليس غريباً أن يكون هذا من النحاة في القرن الثاني ومابعده في عهد انقسام المدرستين وتحزب الأشياع لهما عهد البدء بتدوين النحو ، ولكن الغريب أن يتم تدوين النحو وتدوين غيره من العلوم كالتفسير والحديث والقراءات واللغة ، وتحرر مسائلها ويمضي الزمن على ذلك حتى تنضج وتحترق - كما يقولون - ثم يأتي الزمخشري في المئة السادسة (توفي ٥٣٨)

---

(١) سورة الانعام ٦/١٣٧ .

https://archive.org/details/@user082170

وهو العالم المفسر النحوي البليغ ، فيرى لنفسه الحق أن يرسل الأحكام في فن لم يتقنه إتقان أهله له فيردّ هذه القراءة المتواترة بكلام خطابي هذا نصه :

« وأما قراءة ابن عامر (قتلُ أولادَهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجر الشركاء على إضافة القتل الى الشركاء ، والفصل بينهما بغير الظرف ؛ فشيء لو كان في الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً ... فكيف به في الكلام المنثور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته !؟ والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف (شركائهم) مكتوباً بالياء . ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب »[1] .

وفي هذا الكلام زلتان كبيرتان يتنزه عنهما الشادي في علم القراءات ؛ فأما الأولى ففي جملته الأخيرة المشعرة بأن ابن عامر حر في اختراع القراءة ، والمقرر البديهي أن القراءة سماع محض لامجال للاجتهاد فيها ، وأما الثانية فظنه أن القارىء أسير الرسم ، وأن الذي حمل ابن عامر على جر (شركائهم) رسمها بالياء في المصحف الشامي ، وهذه شبه تلك في الجهالة فالقراءة تتلقى مشافهة بالاسناد ، وهي عادةً توافق الرسم وليس لقارىء ان يقرأ قراءة لم يتلقها وان وافقت الرسم .

---

(١) تفسير الكشاف ٢/٧٠ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة سنة١٣٦٥ هـ)

https://archive.org/details/@user082170

وعبد الله بن عامر بعد ، إمام من أعلام القراء وكبار التابعين (٢١-١١٨ هـ) ، أحد القراء السبعة وإمام الشاميين في قراءتهم تلقى قراءته عن كبار الصحابة كعثمان بن عفان وغيره وعن كبار التابعين ، وهو بعد ، من صميم العرب الذين يحتج بكلامهم ، وقد تلقى قراءته هذه عن الأثبات وتلقاها عنه المئات بعد المئات ، وهو قاضي دمشق وشيخ مشايخ قرائها وإمام جامعها الأعظم على عهد عمر بن عبد العزيز »[1] ، وكان على الزمخشري وهو أعجمي تخرج بقواعد النحاة المبنية على الاستقراء الناقص، أن يتحرى لنقد عربي قويم الملكة فصيح اللسان حجة في لغة العرب شيئاً غير هذه الخطابيات .

وعلى هذا تكون هذه القراءة حجة قوية على الفصل بين المتضايفين بغير الظرف والجار والمجرور مثل القراءة الثانية في قوله تعالى (فلا تحسبن الله مخلفَ وعدَه رسلِه إن الله عزيز ذو انتقام »[2] ويكون هذا الفصل -على ندرته - عربياً قوياً. وكان المنهج السليم يقضي أَن يصحح النحاة البصريون قاعدتهم محتجين بهذه القراءة كما فعل الكوفيون ، لا أن يضعفوا قراءة

---

(١) نظرة في النحو للمرحوم طه الراوي . مجلة المجمع العلمي العربي ٣٢٢/١٤

(٢) سورة ابراهيم ١٤ الآية ٤٧ . قال الزمخشري في كشافه (٥٦٦/٢)وقرىء : مخلفَ وعدَه رسلِه بجر الرسل ونصب الوعد ، وهذه في الضعف كمن قرأ (قتل أولادَهم شركائِهم) .

متواترة يرويها المئات من فصحاء العرب المحتج بكلامهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبعد فقراءات القرآن جميعها حجة في العربية متواترها وضعيفها وشاذها، وأكبر عيب يوجه الى النحاة عدم استيعابهم إياها، وإضاعتهم على أنفسهم ونحوهم مئات من الشواهد المحتج بها، ولو فعلوا لكانت قواعدهم أشد أحكاماً.

(٢)

الحديث الشريف

يراد بالحديث الشريف أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة التي تروي أفعاله أو أحواله أو ما وقع في زمنه، وقد تشتمل كتب الحديث على أقوال التابعين أيضاً كالزهري وهشام بن عروة وعمر بن عبدالعزيز، والذي جعل بعض اللغويين النحويين يثبتون أقوال التابعين هؤلاء مع أقوال الرسول والصحابة ثقتهم بصحة صدورها عنهم، فيحتجون بها في إثبات مادة لغوية أو دعم قاعدة اعرابية أو صرفية.

وقد كان من المنهج الحق بالبداهة أن يتقدم الحديث سائر كلام العرب من نثر وشعر في باب الاحتجاج في اللغة وقواعد الاعراب، إذ لا تعهد العربية في تاريخها بعد القرآن الكريم بياناً أبلغ من الكلام النبوي ولا أروع تأثيراً ولا أفعل في النفس ولا أصح لفظاً ولا أقوم معنى؛ لكن

https://archive.org/details/@user082170

ذلك لم يقع كما ينبغي لانصراف اللغويين والنحويين المتقدمين إلى ثقافة ما يزودهم به رواة الأشعار خاصة ، انصرافاً استغرق جهودهم، فلم يبق فيهم لرواية الحديث ودرايته بقية ، فتعللوا لعدم احتجاجهم بالحديث بعلل، كلها وارد بصورة أقوى على ما احتجوا به هم أنفسهم من شعر ونثر .

(ومع إجماع اللغويين والنحاة عامة على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب قاطبة ، وأن الحديث لا يتقدمه شيء في باب الاحتجاج إذا ثبت لهم أنه لفظ النبي نفسه ، انقسموا فيما يروى من الأحاديث فريقين : فريقاً غلب على ظنه أنها لفظه عليه السلام فأجاز الاحتجاج بها ، وفريقاً غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا باللفظ ، وإذاً لا يجيز الاحتجاج بها).

ونحن عارضون بشيء من التفصيل للمذهبين ثم خاتمون بما نرى أنه الأقرب إلى الحق مستندين إلى الحقائق التاريخية ووقائع الحال :

مذهب المانعين :

عبر عنه أبو حيان الأندلسي (— ٧٤٥هـ) خير تعبير إذ كان أشدهم مبالغة فيه ، وإنكاراً على مخالفيه ، ونحن نثبت من كلامه حجة المانعين في عدم الوثوق بأن المروي لفظ النبي ، ولهذا لم يحتجوا به قال :

« إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن في اثبات القواعد الكلية ، وإنما كان ذلك لأمرين :

١ — أَحدهما أَن الرواة جوزوا النقل بالمعنى فتجد قصة واحدة قد جرت في زمانه صلى الله عليه وسلم فتنقل بألفاظ مختلفة كحديث :

« زوجتكها بما معك من القرآن »

وفي رواية أخرى « ملكتكها بما معك من القرآن »

وفي الثالثة « خذها بما معك من القرآن »

وفي الرابعة : « أمكناكها بما معك من القرآن » ، ،

فنعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها إِذ يحتمل أَنه قال لفظاً آخر مرادفاً لهذه الالفاظ فأتت الرواة بالمرادف ولم تأت بلفظه إِذ المعنى هو المطلوب ؛ ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ . والضابط منهم من ضبط المعني وأَما ضبط اللفظ فبعيد جداً ولا سيما في الأحاديث الطوال . . . ومن نظر في الحديث أدنى نظر علم العلم اليقين أَنهم إِنما يروون بالمعنى .

٢ — الأمر الثاني : أَنه وقع اللحن كثيراً فيما روي من الحديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن في كلامهم وهم لا يعلمون ذلك . وقد وقع في روايتهم غير الفصيح من لسان العرب ، ونعلم قطعاً غير شك بأن رسول الله كان أفصح الناس ، فلم يكن ليتكلم إِلا بأفصح اللغات وأَحسن التراكيب

https://archive.org/details/@user082170

وأشهرها وأَجزلها ، وإذا تكلم بلغة غير لغته فإنما يتكلم بذلك مع أَهل تلك اللغة . . . »[١]

هذا دفاع أَشدهم حماسة في المنع أَوردته على مافيه من مبالغة لنكون على علم بمذهبهم جملة وتفصيلاً . وأَبو حيان اقام النكير على ابن مالك صاحب التسهيل لاحتجاجه بالحديث ، فاحتج عليه بما تقدم وبأن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرين للأحكام من لسان العرب كأبي عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائي والفراء وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد واهل الأندلس »[١] . وسترى ان هذا الزعم لا يقف على رجليه لأن أئمة موثوقين من المتقدمين احتجوا بالحديث فلم يكن ابن مالك بدعاً في أئمة النحو .

مذهب المجيزين

هذا هو الأصل ، ونجد الاحتجاج بالحديث مالئاً معاجم اللغة ، فنظرة الى معاجم (التهذيب للأزهري)و(الصحاح للجوهري)و(المخصص لابن سيده)و(المجمل، ومقاييس اللغة لابن فارس)و(الفائق للزمخشري)

---

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٩ – ٢١

https://archive.org/details/@user082170

كافية لدحض ما ادعى ابو حيان، بل قد عد ابن الطيب [١] من اصحاب هذا المذهب من النحاة : ابن فارس وابن خروف وابن جنى وابن بري والسهيلي ، بل انه قال : « لا نعلم احداً من علماء العربية خالف في هذه المسألة إلا ما أبداه الشيخ ابو حيان في شرح التسهيل وابو الحسن الضائع (-٦٨٠) في شرح الجمل وتابعهما على ذلك الجلال السيوطي (- ٩١١) » [١] .

ولا عجب في أن يتدارك المتأخرون ما فات المتقدمين ، بل إن ذلك هو المنتظر المعقول ، إذ كان العالم من الأوائل يعلم روايات محدودة وخيرهم من صنف مفردات اللغة في موضوع واحد كالأصمعي مثلاً . ثم جاءت طبقة بعدهم وصل إليها كل ما صنف السابقون فكانت أوسع إحاطة ، ثم جاءت طبقة بعد طبقة ، وألفت المعاجم المحيطة بكل ما اطلع عليه أصحابها من تصانيف ونصوص غاب اكثرها عن الأولين فكانوا اوسع علماً ، ولذلك نجد مالدى المتأخرين من ثروة نحوية أو لغوية أو حديثية شيئاً وافراً مكنهم من أن تكون نظرتهم أشمل وأحكامهم أسد . ولو كانت هذه الثروة في أيدي الأقدمين كأبي عمرو بن العلاء والاصمعي وسيبويه . . لعضوا عليها بالنواجذ ولغيروا -فرحين مغتبطين- كثيراً من قواعدهم التي صاحبها - حين وضعها - شح المورد . ولكانوا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٣/١٩٩ بحث (الاستشهاد بالحديث) للسيد محمد الخضر حسين

https://archive.org/details/@user082170

أشد المنكرين على أبي حيان جموده وضيق نظرته وانتجاعه الجدب، والخصب محيط به من كل جانب.

ثم أتى الإمام ابن مالك (— ٦٧٢) فأكثر من الاستدلال بما وقع في الأحاديث على إثبات القواعد الكلية في لسان العرب ولا سيما في كتابه (التسهيل) إكثاراً ضاق به أبو حيان شارح (التسهيل) غير مرة، حتى غلا في بعض هذه المرات فقال « والمصنف قد أكثر من الاستدلال بما ورد في الأثر متعقباً بزعمه على النحويين وما أمعن النظر في ذلك (! !) ولا صحب من له التمييز !!! [1] كذا قال !.

ثم جاء ابن هشام (— ٧٦١ هـ) تلميذ أبي حيان ونقيضه في مذهبه إزاء الاستشهاد في الحديث، يكثر من الاحتجاج به في كتبه ماوجد الى ذلك سبيلا كغيره من النحاة، حتى لفت نظر مترجميه فنصوا على انه «كان كثير المخالفة لشيخه أبي حيان، شديد الانحراف عنه » [2]

(وهؤلاء يردون اعتراضات المانعين في سهولة ويسر :

فأما المانع الأول وهو تجويز الرواية بالمعنى فيجيبون عليه بأن الأصل الرواية باللفظ، ومعنى تجويز الرواية بالمعنى ان ذلك احتمال عقلي فحسب لا يقين بالوقوع، وعلى فرض وقوعه فالمغير لفظاً بلفظ في معناه عربي

---

(١) انظر الاقتراح للسيوطي ص ١٩ — ٢١

(٢) بغية الوعاة ص ٢٩٣

مطبوع يحتج بكلامه في اللغة ، ونحن نعرف مقدار تحري علماء الحديث وضبطهم لالفاظه، حتى إذا شك راو عربي بين (على وجوهم) أو (على مناخرهم) [١] اثبتوا شكه ودونوه مبالغة في التحري والدقة . هذا إلى جانب كثير من الرواة صحابة وتابعين دونوا الأحاديث من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص كان يكتب الحديث حياة رسول الله ، وكذلك روى عن عبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي من الصحابة الكرام. وهذا عمر بن عبد العزيز (— ١٠١) يكتب إلى الآفاق : « أَن انظروا ما كان من حديث رسول الله أَو سنته فاكتبوه » ، ثم كان الزهري (— ١٢٤) وابن أَبي عروبة (— ١٥٦) والربيع بن صبيح (— ١٦٠) ممن دونوا الحديث كتابة. ثم شاع التدوين في الطبقات التي بعد هؤلاء ، وهذا كاف في غلبة الظن بأن الذي في مدونات الطبقة الأولى لفظ النبي نفسه ، فإن كان هناك إبدال لفظ بمرادفه فإنما أَبدله عربي فصيح يحتج به . وإن وقع بعد ذلك شك في بعض الروايات من غلط او تصحيف فنزر يسير لا يقاس أَبداً إلى أمثاله في الشعر وكلام العرب ، فكثير من الاشعار نفسها رويت بروايات مختلفة ، وبعضها موضوع وربما كان ما فطنوا إلى وضعه منه أقل

---

(١) في الحديث « وهل يكب الناس في النار على وجوههم (او قال على مناخرهم) الا حصائد السنتهم . » انظر الحديث (٢٩) في الاربعين النووية .

من القليل ، وجاز عليهم اكثر الموضوع إذ كان واضعه قد احسن المحاكاة، قال الخليل بن احمد : « إن النحارير ربما أَدخلوا على الناس ماليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت . »(١)

وأنتم تحتجون بهذا الشعر والنثر على عجره وبجره ، هذا من حيث المتن ، واما من حيث السند فقد عرف المجيزون والمانعون أن ما في روايات الحديث من ضبط ودقة وتحر لا يتحلى ببعضه كل ما يحتج به النحاة واللغويون من كلام العرب .

وأَغلب الظن أن من لم يستشهد بالحديث من المتقدمين لو تأخر به الزمن إلى العهد الذي راجت فيه بين الناس ثمرات علماء الحديث من رواية ودراية لقصروا احتجاجهم عليه بعد القرآن الكريم ، ولما التفتوا قط إلى الاشعار والاخبار التي لا تلبث أَن يطوقها الشك إذا وزنت بموازين فن الحديث العلمية الدقيقة .

« وأَما ما ادعاه ابو حيان من ان المتأخرين من نحاة الأقاليم تابعوا المتقدمين في عدم الاحتجاج بالحديث، فمردود بأن كتب النحاة من أندلسيين وغيرهم مملوءة بالاستشهاد بالحديث ، وقد استدل بالحديث الشريف الصقلي والشريف الغرناطي في شرحيهما لكتاب سيبويه ، وابن الحاج في شرح المقرب ، وابن الخباز في شرح أَلفية ابن معطي ، وابو علي

(١) الصاحبي ص ٣٠ المطبعة السلفية بالقاهرة

https://archive.org/details/@user082170

الشلوبين في كثير من مسائله ، وكذلك استشهد بالحديث السيرافي والصفار في شرحيهما لكتاب سيبويه وقال ابن الطيب : « بل رأيت الاستشهاد بالحديث في كلام ابن حيان نفسه »[١].

وجرى على ذلك العلماء حتى عصرنا الحاضر ، منهم المرحوم الاستاذ طه الراوي ، فقد كان يذهب إلى الاحتجاج بما صح منها دون قيد ولا شرط ، ويعرض للذين اعترضوا بوجود أعاجم في رواة بعض الأحاديث فيقول « والقول بأن في رواة الحديث اعاجم ليس بشيء ، لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما فإن فيهما الكثير من الأعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثاً ممن يعتد به يمكن أن يوضع في صف (حماد الراوية) الذي كان (يكذب ، ويلحن ، ويكسر) ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمروياته ، ولكنهم تحرجوا في الاحتجاج بالحديث . . . ثم لا ادري لم ترفع النحويون عما ارتضاه اللغويون من الانتفاع بهذا الشأن ، والاستقاء من ينبوعه الفياض بالعذب الزلال ، فأصبح ربع اللغة به خصيباً بقدر ما صار ربع النحو منه جديباً :

وكان حالهما في الحكم واحدة   لو احتكمنا من الدنيا إلى حكم[٢]

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٣/٢٠٧ بحث السيد محمد الخضر حسين ـ هذا ويقال لأبي حيان : ابن حيان أيضاً لان أحد أجداده (حيان) .

(٢) نظرة في النحو (مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٤/٣٢٥ ـ ٣٢٧)

https://archive.org/details/@user082170

(وقبله بقليل عالج هذا الموضوع السيد محمد الخضر حسين في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي على خير ما يعالجه عالم ثبت مترو وقاض منصف، وانتهى من بحثه إلى النتيجة المرضية الآتية:

«من الأحاديث ما لا ينبغي الاختلاف بالاحتجاج به في اللغة (والقواعد) وهو ستة أنواع:

أولها — ما يروى بقصد الاستدلال على كمال فصاحته عليه الصلاة والسلام كقوله (حمي الوطيس) وقوله (مات حتف أَنفه) وقوله (الظلم ظلمات يوم القيامة) الى نحو هذا من الأحاديث القصار المشتملة على شيء من محاسن البيان كقوله (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وقوله (إن الله لا يمل حتى تملوا).

ثانيها — ما يروى من الأقوال التي كان يتعبد بها، أَو أَمر بالتعبد بها كألفاظ القنوت والتحيات وكثير من الأذكار والأدعية التي كان يدعو بها في أَوقات خاصة.

ثالثها — ما يروى على أَنه كان يخاطب كل قوم من العرب بلغتهم. ومما هو ظاهر أن الرواة يقصدون في هذه الأنواع الثلاثة إلى رواية الحديث بلفظه.

رابعها — الاحاديث التي وردت من طرق متعددة واتحدت أَلفاظها، فان اتحاد الألفاظ مع تعدد الطرق دليل على أَن الرواة لم يتصرفوا في

https://archive.org/details/@user082170

ألفاظها ، والمراد أن تتعدد طرقها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أو إلى الصحابة أو إلى التابعين الذين ينطقون الكلام العربي فصيحاً ،

خامسها — الأحاديث التي دوّنها من نشأ في بيئة عربية لم ينتشر فيها فساد اللغة ، كمالك بن أنس وعبد الملك بن جريج والامام الشافعي .

سادسها — ما عرف من حال رواته أنهم لا يجيزون رواية الحديث بالمعنى مثل ابن سيرين والقاسم بن محمد ورجاء بن حيوة وعلي بن المديني (١) .

ومن الاحاديث ما لا ينبغي الاختلاف في عدم الاحتجاج به ، وهي الأحاديث التي لم تدون في الصدر الأول وإنما تروى في بعض كتب المتأخرين ....

والحديث الذي يصح أن تختلف الأنظار في الاستشهاد بألفاظه ، هو الحديث الذي دوّن في الصدر الأول ولم يكن من الانواع الستة

---

(١) قلت : لعل ذلك هو الغالب على رجال الحديث وغيرهم ممن يروي الحديث ، ولذا كان اول المرغبات عندهم في تعلم العربية صيانة الفاظ القرآن والحديث من التحريف أولا وحسن فهمهما ثانياً ، قال الاصمعي « ان أخوف ما أخاف على طالب العلم اذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم : (من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار) لانه لم يكن يلحن ؛ فمهما رويت عنه ولحنت فيه كذبت عليه .» ـ اهمخطوطة الظاهرية لتاريخ دمشق لابن عساكر ٥/ الورقة ١/٤٨١ والاصمعي هذا هو الذي كان ـ على جلالة قدره في اللغة العربية ـ « يتقي ان يفسر حديث رسول الله كما يتقي ان يفسر القرآن ! » مبالغة منه في التحري والورع. ـ انظر الورقة ١/٤٨٢ الجزء نفسه

https://archive.org/details/@user082170

المبينة آنفاً وهو على نوعين : حديث يرد لفظه على وجه واحد ، وحديث اختلفت الرواية في بعض ألفاظه :

١ — أما الحديث الوارد على وجه واحد فالظاهر صحة الاحتجاج به ، نظراً إلى أن الأصل الرواية باللفظ ، وإلى تشديدهم في الرواية بالمعنى. ويضاف إلى هذا كله عدد من يوجد في السند من الرواة الذين لا يحتج بأقوالهم ، فقد يكون بين البخاري ومن يحتج بأقواله من الرواة واحد أو اثنان وأقصاهم ثلاثة .

ومثال هذا النوع أن الحريري أنكر على الناس قولهم قبل الزوال (سهرنا البارحة) قال : وإنما يقال (سهرنا الليلة) ، ويقال بعد الزوال (سهرنا البارحة) اهـ . والشاهد على صحة ما يقوله الناس حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أصبح قال : (هل رأى أحد منكم البارحة رؤيا ؟) وحديث : (وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح — وقد ستره الله — فيقول عملت البارحة كذا .) ففي قوله (إذا أصبح قال : هل رأى أحد منكم البارحة) وقوله (ثم يصبح فيقول عملت البارحة) شاهد على صحة أن يقول الرجل متحدثا عن الليلة الماضية وهو في الصباح : سهرنا البارحة ، أو وقع البارحة كذا .

٢ — وأما الأحاديث التي اختلفت فيها الرواية ... فنجيز الاستشهاد

https://archive.org/details/@user082170

بما جاء في رواية مشهورة لم يغمزها أحد المحدثين بأنها وهم من الراوي [١] ..
وأما ما يجيء في رواية شاذة أو في رواية يقول فيها بعض المحدثين إنها غلط
من الراوي [٢] فنقف دون الاستشهاد بها .

وخلاصة البحث أنا نرى الاستشهاد بألفاظ مايروى في كتب
الحديث المدونة في الصدر الأول وإن اختلفت فيها الرواية ولا نستثني إلا
الألفاظ التي تجيء في رواية شاذة أو يغمزها بعض المحدثين بالغلط أو
التصحيف غمزاً لامرد له ، ويشد أزرنا في ترجيح هذا الرأي أن جمهور
اللغويين وطائفة عظيمة من النحويين يستشهدون بالألفاظ الواردة في
الحديث ولو على بعض رواياته .) [٣] اه .

(٣)

كلام العرب

أما العرب المحتج بهم فقد عرفت من هم في القسم الثالث من هذا
البحث بإسهاب فلا نعيد منه هنا شيئاً ، فقد اقتصر النحاة على تدوين كلام

---

(١) مثل لها الاستاذ بكلمة (قام النبي صلى الله عليه وسلم ممثلا)اي منتصباً ،
والمعروف في كلام العرب انما هو (ماثل) . وانظرها في لسان العرب

(٢) مثل لها الاستاذ بـ (ان كلماته بلغت ناعوس البحر) . وفي بقية الروايات
« قاموس البحر » وناعوس غير معروفة في كلام العرب

(٣) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٣/٢٠٨ – ٢١٠

القبائل الضاربين في وسط الجزيرة كأسد وقيس وتميم وهذيل ، والذي دوّن منه كلام لبعض أفراد منهم ، فاذا نسبت هؤلاء الافراد الى قبائلهم ثم نسبت هذه القبائل القليلة الى قبائل العرب عامة عرفت صدق أبي عمرو بن العلاء وصحة مذهبه حين قال :

« ما انتهى اليكم مما قالت العرب الا أقله ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير . » ومن ينعم النظر في معاجم اللغة وكتب قواعدها يجد كتب اللغويين أوفر حظاً في الاستشهاد بالشعر والنثر على السواء في اثبات معنى او استعمال كلمة ، ويجد النحاة يكادون يقتصرون على الشعر. وزادت عنايتهم بالشواهد الشعرية مع الزمن ، حتى « كان أبو بكر الانباري (— ٣٢٨) يحفظ فيما ذكر ثلاثمائة ألف بيت شاهد في القرآن الكريم » . [1] ونحن ان قابلنا الشواهد النثرية عند هؤلاء وأولئك بالشواهد الشعرية وجدناها ضئيلة جداً . فاذا أضفت الى ذلك كله حملهم على الضرورة الشعرية كل شعر لم ينطبق على قواعدهم ومقاييسهم [2] التي بنوها على استقراء ناقص جداً ، عرفت ان اساس تلك القواعد والقوانين غير متين من الناحية النظرية على الاقل .

---

(١) طبقات الحنابلة ص ٣٢٨

(٢) بل كان بعض قدماء النحاة لا يستشهد بشعر جرير والفرزدق والاخطل ، ولا يتورع عن تلحينهم فيما لا ينطبق على قواعدهم. هذا عبدالله بن اسحق الحضرمي وهو مولى يلحن الفرزدق في قوله: =

(٤)

بعض قواعدهم في الاحتجاج [١]

١ ـــ المسموع إمامطرد وإماشاذ. والاطراد والشذوذ أربعة أضرب.

١ ـــ مطرد في القياس والاستعمال معاً كرفع الفاعل ونصب المفعول . وهذا أقوى مراتب الكلام .

٢ – مطرد في القياس شاذ في الاستعمال نحو الماضي من يذر ويدع [٢] .

= مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب من نديف القطن منثور

على عمائمنا تلقي ، وأرحلنا على زواحف تزجى مخها رير

ويقول له : « الا قلت : على زواحف نزجيها محاسير » فيغضب الفرزدق ويهجوه قائلا : فلو كان عبد الله مولى هجوته ولكن عبد الله مولى مواليا

الشعر والشعراء ٣٥ (بتحقيق احمد محمد شاكر) ، فيستمر عبد الله في تلحينه ذاهباً الى انه ينبغي ان يقول : مولى موال .

هذا « وقد ارتقى ببعضهم الامر الى تلحين بعض فحول الجاهلية كما وقع لعيسى بن عمر. فانه كان يقول: أساء النابغة بقوله : « ...في انيابها السم ناقع » وكان عليه ان يقول « ناقعاً » ويقول ابن فارس : « ماجعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط والخطأ ، فما صح في شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية واصولها فهو مردود كقوله :

ألم يأتيك والانباء تنمي

وقوله : لما جفا اخوانه مصعباً

وقوله : قفا عند مما تعرفان ربوع

فكله غلط وخطأ » اه — مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/٣٢٧

(١) مقتبسة بتصرف من كتاب (الاقتراح للسيوطي) ص ٢٤ – ٤١

(٢) علمت مافي هذا الحكم من خطأ ص ٢٧

https://archive.org/details/@user082170

وقولهم (مكان مُبقل) هذا هو القياس ، والاكثر في السماع (باقل) ، وكذا مجيء منصوب عسى اسماً صريحاً مثل (عسى زيد قائماً) غير ان الاكثر مجيئه فعلا .

٣ — مطرد في الاستعمال شاذ في القياس نحو قولهم (استحوذ ، استنوق ، استصوب) والقياس الاعلال (استحاذ ..الخ) .

٤ — شاذ في القياس وفي الاستعمال معاً كقولهم : ثوب مصوون ، وفرس مقوود[1] .

٢ — لا تشترط العدالة في العربي المروي عنه وانما تشترط في الراوي

٣ — يقبل ماينفرد به الفصيح لاحتمال أن يكون سمع لغة قديمة باد المتكلمون بها .

٤ — اللغات على اختلافها حجة كلها . ألا ترى أن لغة الحجازيين في اعمال (ما) ولغة التميميين في تركه ، كل منهما يقبله القياس فليس لك أن ترد احدى اللغتين بصاحبتها[2] .

---

(١) تتمة : قال ابن هشام :

اعلم انهم يستعملون (غالباً ، وكثيراً ، ونادراً ، وقليلا ، ومطرداً) فالمطرد لا يتخلف والغالب اكثر الاشياء ولكنه يتخلف والكثير دونه ، والقليل دونه والنادر اقل من القليل . فالعشرون بالنسبة الى (٢٣) غالب ، والخمسة عشر بالنسبة اليها كثير لا غالب ، والثلاثة قليل ، والواحد نادر .

(٢) قلت : اورد ابن فارس في كتابه (الصاحبي) طائفة من هذه اللغات ثم قال : « . . وكل هذه اللغات مسماة منسوبة الى اصحابها . . وهي وان كانت لقوم دون قوم ، فانها لما انتشرت تعاورها كل . » ـ الصاحبي ص٢٢

https://archive.org/details/@user082170

٥ — في تداخل اللغات :

اذا اجتمع في كلام الفصيح لغتان فصاعداً كقوله :

وأشرب الماء مابي نحوه عطش الا لأن عيونه ْسال[١] واديها

فقال (نحوهُ) بالاشباع و (وعيونهْ) بالاسكان .. اعتبرتا معا لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة اليه في أَوزان أَشعارها وسعة تصرف أقوالها ويجوز ان تكون لغته احداهما ثم انه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى ..

قال الاصمعي : اختلف رجلان في (الصقر) فقال أحدهما بالصاد وقال الآخر بالسين ، فتراضيا بأول وارد عليهما ، فحكيا ما هما فيه ، فقال : « لا أَقول كما قلتما ، انما هو الزقر » وعلى هذا يتخرج جميع ماورد من التداخل نحو لغة (قلى يقلى) أَخذ ماضيها من لغة (قلى يقلي) ومضارعها من لغة (قلي يقلى) ومثلها (سلى يسلى) .

٦ — إِذا دخل الدليلَ الاحتمالُ سقط به الاستدلال .

رد ابو حيان بهذه القاعدة على ابن مالك كثيراً في مسائل استدل بها ، منها استدلاله على قصر (الأخ) بقوله :

أخاك الذي إن تدعه لملمة يجبك بما تبغي ويكفيك من يبغي

---

(١) كذا ، والذي في لسان العرب مادة (ها) : (سيْل واديها) ولعلها الصواب

https://archive.org/details/@user082170

فانه يحتمل أن يكون منصوباً باضمار فعل (الزم). وبذا لا يصح الاستدلال بالبيت على قصر (الاخ).

٧ — كثيراً ما تروى الأبيات على أوجه مختلفة ويكون الشاهد في بعض دون بعض.

روي قول الشاعر ولا أرض أَبقَل إبقالها

على وجه ثان: ولا أَرض أَبقَلتِ ابقالَها

بالتذكير مرة، وبالتأنيث مع نقل حركة الهمزة إلى التاء مرة اخرى، فان صح أن القائل بالتأنيث هو القائل بالتذكير صح الاستشهاد به على الجواز من غير الضرورة؛ وإلا فقد كانت العرب ينشد بعضهم شعر بعض وكل يتكلم على سجيته التي فطر عليها ومن هنا تكثر الروايات في بعض الابيات.

٨ — لا يحتج في اللغة العربية بكلام المولدين والمحدثين، فابن هرمة آخر الاسلاميين المحتج بأقوالهم (— ١٥٠)، وبشار رأس المحدثين (— ١٦٧) غير المحتج بكلامهم [١].

٩ — لا يجوز الاحتجاج بشعر ولا نثر لا يعرف قائله إلا إذا رواه عربي ممن يحتج بكلامه [٢]، مخافة أن يكون لمولد اولمن لا يوثق بفصاحته: فمثلاً أجاز الكوفيون:

---

(١) سبق هذا ص ١٤، ١٥

(٢) انظر القياس في اللغة العربية للسيد محمد الخضر حسين ص ٣٨

https://archive.org/details/@user082170

١ — إظهار (أن) بعد (كي) مستشهدين بقول الشاعر :

أردت لكيما أن تطير بقربتي فتتركها شنا ببيداء بلقع

٢ — وأجازوا دخول اللام في خبر لكن واحتجوا بقول الشاعر :

ولكنني من حبها لعميد

وكلا الرأيين لايثبت لأن البيت الأول مجهول القائل فلا يحتج به ، والشطر الثاني لايعرف قائله ولا شطره الأول ، ومابني عليهما غير صحيح (١) .

(٥)

خاتمة

الآن ، وبعد ماتقدم كله ، نستطيع أن نجمل الرأي في صنيع النحاة المتقدمين حول الاحتجاج ، في النظرات الآتية :

١ — لم يصدروا في تنسيق شواهدهم عن خطة محكمة شاملة ، فأنت تجد في البحث من بحوثهم قواعد عدة ، هذه تستند الى كلام رجل من قبيلة أسد وتلك إلى كلام رجل من تميم والثالثة إلى كلمة لقرشي ، وتجد على القاعدة تفريعاً دعا إليه بيت لشاعر جاهلي ، واستثناء مبنياً على شاهد واحد

(١) وابن هشام لايسلم دائماً باسقاط الاحتجاج بالمجهول وهذه حجته : « ولو صح ذلك لسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من كتاب سيبويه فان فيه الف بيت عرف قائلوها وخمسين مجهولة القائلين » اه . قلت : وليكن ذلك ، وماذا فيه ؟ والمنهج الحق يقتضي هذا الاسقاط .

https://archive.org/details/@user082170

اضطر فيه الشاعر إلى أن يركب الوعر حتى يستقيم له وزن البيت . ولعل عذرهم في ذلك أنه ليس لديهم نصوص مصنفة على القبائل ، فلم يُعنَ الرواةُ ولا المؤلفون الأولون بأن يذكروا كلام كل قبيلة في نسق ، حتى يأتي النحويُّ فيستنبطُ قواعد كل لهجة على حدة خطوة أولى، ثم يبحث عن الأشيع في لهجات القبائل فيقعد عليه قواعده . ويصدق عليهم في ذلك تماماً ما يأخذه الأستاذ أحمد أمين على واضعي المعاجم الذين حشروا اللغات واللغيات واللهجات والتصحيفات والضرورات معاً فتضخمت معاجمهم تضخما زائداً « وكان الأولى أن تستبعد اللثغات ويحقق التصحيف وتترك اللهجات [1] » ، واذاً لاختصرنا حيزاً كبيراً من معاجمنا . ولرمينا بكثير من البلبلة والفوضى والاضطراب يعانيه متصفح هـذه المعاجم ، الذي كثيراً مايحار بين الأقوال والروايات المتضاربة : أيها يأخذ وأَيها يدع؟

وهذا نفسه فعله النحاة . فلو سئلنا : على لغة أَية قبيلة ينطبق نحوكم الذي تدرسونه اليوم ؟ ما استطعنا تسمية القبيلة باطمئنان ، بل نكون أقرب إلى دقة إذا أَجبنا إنه أسس على خليط لانظام له مما روي على انه تكلمت به العرب .

---

(١) انظر ضحى الاسلام ١ /٣١٩ . فكثيرا ما تتغاير اللهجات فتضع حرفاً مكان حرف فـ (عثا و عاث) و (الشائع والشاعي) وما اليها خلاف لهجات فحسب لكن المدونين جعلوها مواد مستقلة فزادوا في حجم موسوعاتهم زيادة غير قليلة ، والمادة في الاصل واحدة .

https://archive.org/details/@user082170

وعلى أن الخليل بن أحمد رحمه الله وضع بما أوتي من ذهن رياضي علمي منظم خطة قريبة ، وأخذ نفسه ـ فيما نظن ـ بها ، ان الذين أتوا بعده انحرفوا كثيراً عن المنهج وحشروا في بحوثهم ما قرب وما بعد ، وما صح ولم يصح ، إرادة المكاثرة والمفاخرة في العلم :

قال رجل للخليل : « أخبرني عما وضعت مما سميت عربية : أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ » فقال : « لا » فقال : « كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ » فقال : « أحمل على الأكثر وأسمي ما خالفني لغات . » (١)

فأنت ترى أن إمام البصريين خط للنحو خطة هي أشبه بالتشذيب منها بالتنظيم ، فقد أهدر كثيراً مما يتكلم به العرب لتسلم له قواعد غالبية بقدر الامكان .

وعلى قصور هذه الخطة فقد كان الخير في اتباعها وتعاهدها بالإحكام مع الزمن ، فنهج قريب يتبع بأمانة وإصلاح خير من لانهج ، وهذا ما لم يكن مع الاسف الشديد .

٢ ـ لم يدرسوا الرواة وأحوالهم ومن منهم الثقة الضابط ومن منهم الوضاع والمخلط ، فلم نعرف عن طبقات رواة اللغة ماعرفنا عن طبقات

---

(١) انظر ضحى الاسلام ٢ / ٢٥٩

المحدثين ، ولاحظي فن الرواية اللغوية ببعض ماحظي به فن رواية الحديث.

ومع أنَّ بعضهم حاول تقليد المحدثين في الجرح والتعديل فكان ينص في ترجمة الخليل وابي عمرو بن العلاء مثلاً على أمانتهما وينص في ترجمة قطرب بما يشعر بكذبه ، ويشير إلى تزيد الاصمعي ٠٠ إن صنعهم أشبه بتقليد ابتدائي لا علمية فيه ٠

٣ — لم يحققوا النصوص التى بنوا عليها لا سنداً ولا متناً ، أما السند فكثيراً ماتجد الشاهد في كتبهم منسوباً إلى غير قائله، وأما المتن فكثيراً ماتجده مروياً عندهم على غير الصحيح ويبنون قاعدتهم على موضع الخطأ منه [1] ٠ وكان عليهم أَن يتقصوا الروايات المختلفة ويحققوها متحرين

---

(١) واليك امثلة على ذلك :

١ — استشهدوا بهذين البيتين :

أردت لكيما أن تطير بقربتي فتتركها شنا ببيداء بلقع ،

فقالت أكل الناس اصبحت مانحاً لسانك كيما أن تغرو تخدعا

على جواز ورود (أن) بعد (كي) في الشعر ، وقالوا في البيت الاول : (كي) اما تعليلية مؤكدة للام ، واما مصدرية مؤكدة بـ (أن) ، ويرى الاخفش أن (كي) حرف جر وأن الناصب للفعل كلمة (أن) اما ظاهرة كما في البيت الثاني واما مضمرة .

اما البيت الاول فلا يعرف قائله كما تقدم، ولذا لا يصح الاحتجاج به، واما البيت الثاني فروايته خطأ ، وقد رآه السيوطي نفسه في ديوان جميل ليس فيه جمع (أن) و(كي) ورواية الديوان : لسانك هذا كي تغر وتخدعا

واذاً لا أصل لما ذكروا من جواز وضرورة وتخريج ، فلا تجتمع (أن) و(كي) في نص صحيح .

https://archive.org/details/@user082170

صحيحها من زائفها ، واذاً يستطيعون الاطمئنان إلى ما يبنون عليها من قواعد .

= انظر معاً : مغنى اللبيب لا بن هشام. مادة (كي) ، و(أوضح المسالك) للمؤلف نفسه باب نصب المضارع ، وشرح شواهد المغني للسيوطي : (شواهد كي) ص ١٧٣ وشرح شذور الذهب لابن هشام ص ٣٤٧ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة) .

٢ — قال سيبويه : « ومما جاء من الشعر في الاجراء على الموضع (أي مراعاة المحل لا اللفظ في الاعراب) قول عقيبة الاسدي :

معاوي اننا بشر فأسجح ... فلسنا بالجبال ولا الحديدا

أدير وها بني حرب عليكم ... ولا ترموا بها الغرض البعيدا » الكتاب ١/ ٣٤

وأبيات عقيبة هذا مشهورة، كلها مجرور الآخر منها

أكلتم أرضنا فجردتموها ... فهل من قائم أو من حصيد

واذاً لا شاهد فيها على ما أورده سيبويه . وقد حاول بعضهم الاعتذار عن سيبويه بأن مقطوعة أخرى فيها هذا البيت، منصوبة الآخر ومنها البيت الثاني لشاعر آخر هو ابن الزبير الاسدي ، ولا عذر بعد تصريح سيبويه بأن شاعره عقيبة الاسدي .

انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٤٥ (بتحقيق احمد محمد شاكر) وخزانة الادب للبغدادي ٢/ ٢٢٥ (طبعة السلفية) .

٣ — استشهدوا على لغة (أكلوني البراغيث) بالحديث الصحيح :

« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ... »

واكثر ابن مالك من الاستشهاد به حتى صار يسمي هذه اللغة (لغة يتعاقبون) .

ولو تحروا الشاهد لعلموا أنه مختصر من حديث مطول رواه البزار أوله :

« ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل وملائكة بالنهار .. »

واذاً لا شاهد فيه وبقيت لغة (أكلوني البراغيث) محتاجة الى شاهد صحيح .

— انظر الاقتراح للسيوطي ص ٢٢

https://archive.org/details/@user082170

٤ ـ تفريطهم بقسم كبير من اللغة حين أهملوا الاحتجاج ببعض القراءات التي قرىء بها القرآن الكريم، والاحتجاج بالحديث النبوي وفي ذلك إهدار لجزء غير يسير من أبلغ الكلام العربي وأعلاه . بل لقد أخطؤوا حين تهاونوا بكتب الامام الشافعي ومن في طبقته من الفصحاء الذين نشؤوا في بيئة سليمة ولم يتطرق الفساد إلى لغتهم ، وهذه إضاعة أسف لها حتى علماء المشرقيات من الاجانب ، والحق كل الحق معهم ، فقد ذهبوا إلى أن « بتدوين مثل الشافعي علوم الشريعة إغناء للغة العربية بوسائل التأدية ، أكثر مما أغناها به كثير من الشعراء . وهذه الناحية ـ مع الأسف ـ أهملها علماء الشرق إهمالاً تاماً واشتغلوا بشواهد لشعراء مجهولين . فكان هذا الاشتغال عبثاً إذا قيس بذلك الاهمال . »[١]

ومما تقدم تعلم أن الصورة التي تتمثل فى ذهن من يعالج النحو واللغة في كتبها القديمة غير صحيحة التعبير ولا صادقته عما كانت عليه اللغة العربية شعراً ونثراً ، وستسلّم الى حد بعيد بما ذهب اليه إسرائيل ولفنسون من أن حالة اللغة العربية عند ظهور الاسلام يجب أن تبحث في القرآن أولاً ، ثم في الأحاديث ثانياً ، ثم في الأمثال ثالثاً ... « ثم في الشعر

---

(١) (التطور النحوي) لبرجستراسر (أملاه في كلية الآداب بالجامعة المصرية) ص ١٣٨ .

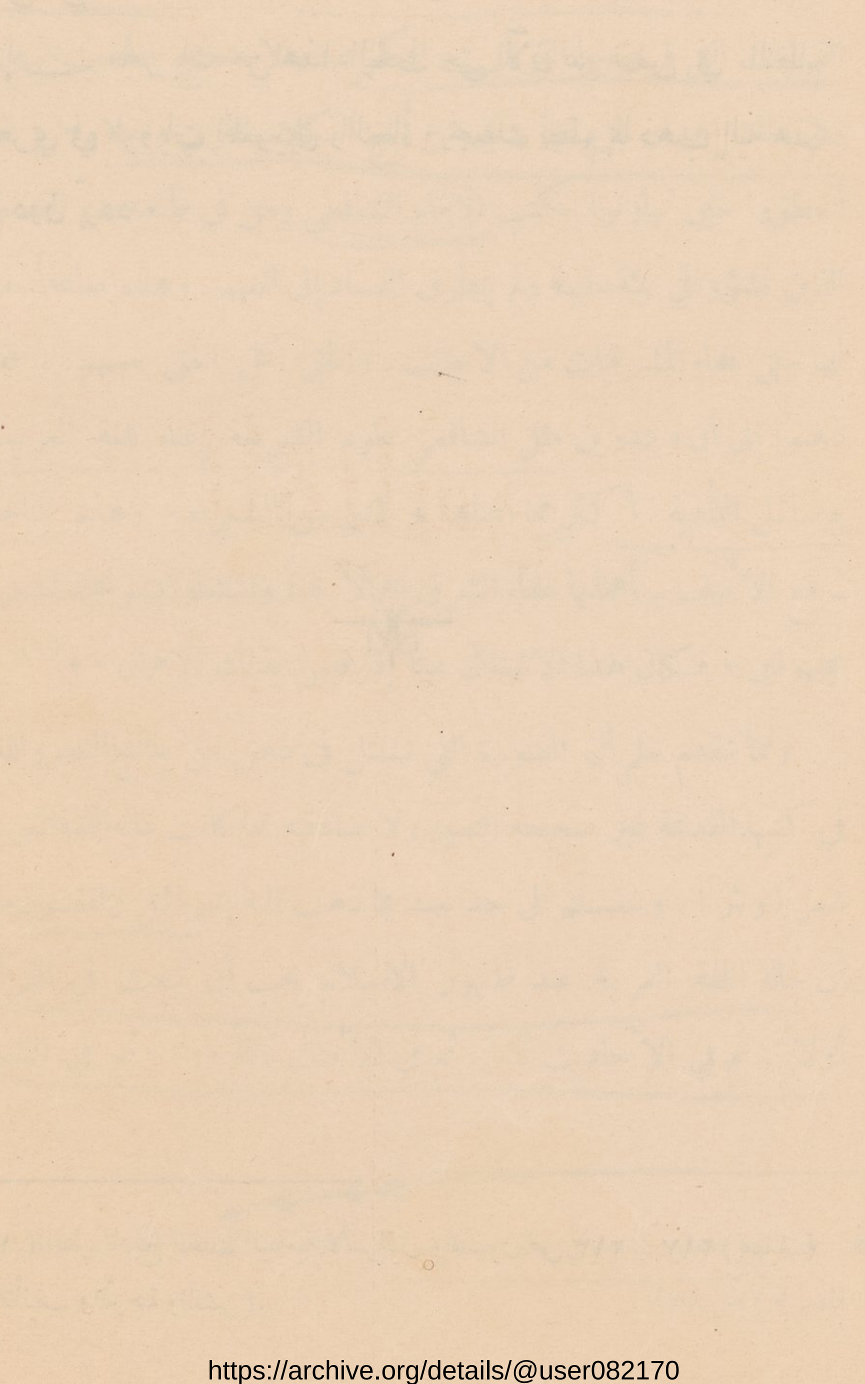
الجاهلي على تحفظ . »[1]

إن مامر بك من هذا البحث حتى الآن عن نقص في النظام والتحري في مرويات اللغويين والنحاة ، يجعلك تسلم بما ذهب إليه هذا العالم دون تردد .



(١) انظر تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ص ٢١٣ ـ ٢١٧ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر).

https://archive.org/details/@user082170



https://archive.org/details/@user082170

القياس

في اللغة العربية

https://archive.org/details/@user082170

القياس

ا — من تاريخ القياس والقياسيين . ب — اثر العلوم الدينية فيه .
ح — من احكام القياس . د — العصريون والقياس .

أبرز فرق بين علم اللغة وعلم الصرف والنحو أن الأول طريقه السماع والثاني طريقه القياس ولذلك عرفوا النحو بأنه :

« علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب » .

وأدق من ذلك في رأيي قول الناظم :

« إنما النحو قياس يتّبع » .

إذ لست أعقل النحو إلا استقراء ثم قياساً .

أما القياس نفسه هنا فحمل غير المنقول على المنقول في حكم لعلة جامعة (١) وهم يعمدون إليه إذا كان المنقول عن العرب مستفيضاً بحيث

---

(١) قال ابن الانباري : مثل أن تركب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول :

اسم أسند الفعل اليه مقدماً عليه فوجب ان يكون مرفوعا قياساً على الفاعل .

فالفاعل : أصل مقيس عليه ، ونائبه : فرع مقيس ، والحكم الرفع ، والعلة الجامعة الاسناد . (عن الاقتراح للسيوطي ٤٧) .

https://archive.org/details/@user082170

يطمأن إلى أنه كثير في كلامهم كثرة أرادوا معها القياس عليه.

وسأتناول طرفاً من تاريخه وما أفادت العربية منه ، ثم أتكلم على أركانه ، ثم أختم بعمل المحدثين فيه ومايرجى للغتنا من فوائده لأيامنا هذه.

(أ)

من تاريخ القياس

استقرى مدوّنو النحو ما وصلهم من كلام العرب وراعوا الحكم السائد في الأعمّ الأغلب منه، فدققوا علله وصنفوها ثم وضعوا قوانينهم المطّردة . ولا شك في أن بعض المنقول من مختلف اللهجات يخرج على هذه القوانين ، فحاول النحاة تسجيله وتذييل بعض أحكامهم باستثناءات وتفريعات ، وبذلوا في ذلك جهداً صادقاً حتى لا يشذّ عن قوانينهم شيء ذو بال ، وحتى تكون محيطة بكلام العرب على قدر الامكان ، ومع ذلك شذّت على استثناءاتهم وقيودهم بعض نوادر لا قيمة لها . وإنما العبرة بما اطرد في أكثر كلامهم .

كان هناك فريقان من علماء العربية : فريق حاول قصر الناس على السماع والتزامه والجمود عليه ، فلم يكتب لمذهبه البقاء لمخالفته طبائع الاشياء ، ولأنّ من غير المعقول أن يكونَ كلامنا كله بمفرداته وتراكيبه وارداً عن العرب ، فالعرب اذا قالت مثلاً (كتب زيد) « فانه يجوز ان يسند هذا

الفعل إلى عمرو وبشر وأردشير .. إلى ما لا يدخل تحت الحصر وإثبات مالا يدخل تحت الحصر بطريق النقل محال »[١] .

القياسيون : والفريق الثاني هم اهل القياس أصحاب مذهب « ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ولا مفعول وإنما سمعت بعضها فقست عليه غيره »[٢] ، وإليهم يرجع الفضل في حياة اللغة الحياة النشيطة حتى أيامنا هذه ، فقد حافظوا على روحها وتعهدوها بالغذاء فنمت وبسقت وأظلت فروعها حضارات مختلفات . ومع انتسابهم جميعاً إلى مذهب القياس يتفاوتون فيما بينهم فيه توسيعاً وتضييقاً .

لم يكن أرباب القياس على بدع من الأمر ، فأصحاب اللغة أنفسهم اتسعوا في إطرادها وتصريفها واشتقاقها بماسبقوا به أرباب القياس أنفسهم ، « فان الأعرابي اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل مالم

---

(١) الاقتراح ص ٤٧ .

(٢) كلمة المازني وابي علي الفارسي ـ (انظر الخصائص ١/ ٤٢٤ و ٣٦٢) .

قال ابو علي « اذا قلت (طاب الخشكنان) فهذا من كلام العرب ، ويؤكد هذا عندك أن ما اعرب من أجناس الاعجمية ، قد أجرته العرب مجرى أصول كلامها ، ألا تراهم يصرفون في غير العلم نحو (آجر ، وابريسم ، وفرند ، وفيروزج ، وجميع ما تدخله لام التعريف وذلك أنه لما دخلته اللام في نحو الديباج والفرند والآجر أشبه أصول كلام العرب أعني النكرات فجرى في الصرف ومنعه مجراها . » (١/٣٦٢)

https://archive.org/details/@user082170

يسبقه أَحد قبله» [١] هذا رؤبة وأبوه العجّاج الراجزان المشهوران «إنهما قاسا اللغة وتصرفا فيها وأَقدما على مالم يأت به من قبلهما [٢]» ، «وحكى أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها [١]» ومن يتصفح شعر الراجزين يجد مصداق هذا القول .

ونحن نجد النزعة إلى تعميم القياس قديمة من أيام الخليل ، كما نجد إلى جانبها نزعة محافظة معتدلة يمثلها أَمثال ابن قتيبة ، فقد ذهب في مقدمة كتابه (الشعر والشعراء) إلى أنه ليس لمتأخر الشعراء « أَن يقيس على اشتقاقهم فيطلق مالم يطلقوا » [٣] واستشهد لذلك برأي الخليل فقد ذكر أن الخليل بن أحمد أَتاه رجل فأنشده :

ترافع العزّ بنا فارْ فَنْعَعَا

فقال الخليل : « ليس هذا شيئاً . [٤] » فقال الرجل : كيف جاز

---

(١) الخصائص ١/٤٢٤

(٢) الاقتراح للسيوطي ص ٥٣

(٣) الشعر والشعراء ص ٢٣ تحقيق وشرح احمد محمد شاكر (القاهرة ١٣٦٤ هـ)

(٤) وقد اعتذر ابن جني ــ وهو من رؤوس مدرسة القياس ــ لمنع الخليل بعذر في ، ذلك ان علة المنع كون لام الفعل حرف حلق وتكرير حرف الحلق مستنكر عندهم مستثقل ــ (انظر الاقتراح للسيوطي ص ٥٣) وقال ابن جني أيضا : «العرب لم تبن هذا المثال مما لامه أحد حروف الحلق ، (انما هو مما لامه حرف فموي وذلك نحو اقعنسس واسحنكك واكلندد واعفنجج فلما قال الرجل للخليل (فارفنععا) أنكر ذلك من حيث أرينا » ــ (الخصائص ١/٣٦٧) .

للعجاج أن يقول :

تقاعس العزّ بنا فاقعنسسا

ولا يجوز لي ؟ ! [١] .

ويروى عن بشار أنه كان يقيس ما لم يرد على ما ورد فرأى العرب صاغت (فَعَلى) وصفا فقالت : جَمَزَى من (الجمز) وهو السرعة فقاس هو أيضاً (فَعَلى) فقال :

الآن أَقصر عن سميّة باطلي وأَشار بالوَجَلى علي مشير

وقال : على الغَزَلى مني السلام فربما لهوت بها في ظل مُخْضَلّة زهر

فعابوه وقالوا « لم يسمع العرب وَجَلى ولا غَزَلى » [٢] وقع هذا وأمثاله في المئة الثانية للهجرة ، فأصبح من الطبيعي أَن ينشأ حول القياس أَخذ ورد بين المجيزين والمانعين أَو بين المجددين والمحافظين ، وأَن ينتهي هذا الجدل بنشوء مدرسة للقياس لها رسومها ونظمها ، حاولت فرض سيطرتها حتى على أَصحاب اللغة فخطؤوا بعض الشعراء الجاهليين والاسلاميين

---

(١) الخصائص ٤٢٤/١

(٢) محاضرة الاستاذ احمد امين بك في مجمع اللغة العربية الملكي في دورة ١٩٤٩ (مدرسة القياس في اللغة) — نقل ابن السكيت في كتابه (المقصور والممدود) ما يلي: قال الاصمعي : « لم اسمع (فعلى الا في المؤنث ، الا في بيت لأمية بن ابي عائذ في المذكر:

كأني ورحلي اذا رعتها على جمزى جازئ بالرمال » — المزهر ٧١/٢ الحمار الجمزى: السريع والجازئ: المكتفي .

وحكموا على ابيات بالشذوذ لعدم انطباقها على قواعدهم ، وما بلاء الفرزدق بابن أَبي اسحق ببعيد عنك فينسى [١] .

وكان أَهم الأعلام في هذه المدرسة حينئذ الخليل وتلميذه سيبويه. وكان من لطيف المصادفات أَن تعاصر هذه المدرسة مدرسة أَخرى تشابهها في الفقه هي مدرسة الرأي التي رفع بنيانها أَبو حنيفة النعمان وتلاميذه . ولا غرابة في ذلك فالقوم حينئذ كانوا مدفوعين بحكم الضرورة إِلى تأسيس بنيانهم الفكري تلبية لحاجات الحضارة اذ ذاك ، فقد وضعت في هذا الزمن أسس العلوم ومناهجها ، وانفرد في كل فن الاختصاصيون فيه يدفعون به إِلى الأمام ليساير حضارة لا يحظى بخيرها متخلف .

❀ ❀ ❀

من قياس الخليل وسيبويه :

لم يكن الخليل أَول القيّاسين في النحو كما لم يكن أَبو حنيفة أَول القياسين بالفقه ، بل سبق كلاً من شيوخه من ضرب في القياس بسهم ، لكن كان الخليل فيهم كما قال ابن جني : « سيد قومه وكاشف قناع القياس في علمه » [٢] وإِذا ذكرت أَنه واضع اساس المعاجم وله أَول معجم أُلف في العربية ، وأَنه بخصب ذهنه ابتكر العروض لقياس الشعر ، لم تستكثر أَن يكون لهذا الذهن تلك المرانة المولدة في النحو ، بحيث يرجع إِليه

(١) انظر ص ٤٨ من هذا الكتاب .

(٢) الخصائص ١/٣٦٦

الفضل في إظهار معالم القياس ووضع رسومه ومناهجه ، وتجد في كتاب سيبويه أنماطاً كثيرة من قياسه مبعثرة في أبواب شتى . وإليك نمطاً من صنعه: نسبت العرب إلى (تِهامة) فقالت تِهامي على القياس و(تَهامٍ) على غير القياس كما قالت (شأمي وشآمٍ) وجعلوا ألف (تهام) بدلاً من إحدى ياءي النسب؛ فسئل ابن جني « لِمَ ذهبت إلى أن الألف في تهامٍ عوض من إحدى الياءين ؟ » فقال : « قال الخليل في هذا : إنهم كأنهم نسبوه إلى (فَعْل أَو فَعَل) وكأنهم فكوا صيغة تهامة فأصاروها إلى (تَهْم أَو تَهَم) ثم نسبوا فقالوا: تهام. » وإنما ميّل الخليل بين (فَعْل وفَعَل) ولم يقطع بأحدهما لأنه قد جاء هذا العمل في هذين المثالين جميعاً وهو (الشأم واليمن) . وهذا الترخيم الذي أَشرف عليه الخليل ظناً قد جاء به السماع أيضاً : أَنشدنا أَبو علي : قال أَنشدنا أحمد بن يحيى (ثعلب):

أَرقني الليلة برق بالتَهَم   يالك برقاً من يشقه لا ينم .

فانظر إلى قوة تصور الخليل إلى أَن هجم به الظن على اليقين ، فهو المعني بقوله :

(الألمعي الذي يظن بك الظ   ن كأن قد رأَى وقد سمعا)[١]

وسيمر بك نمط من قياس سيبويه عندما نصل الى الفقرة (حـ) .

استمر القياس على الطريق التي لحبها الخليل وسيبويه حتى كانت المئة

---

(١) الخصائص ١/٥٠٥

الرابعة للهجرة فبلغ ذروة مجده بأبي علي الفارسي وتلميذه (ابن جني) ونهض به هذان الامامان نهضة لم يحظ بمثلها قبلهما ولا بعدهما حتى اليوم.

من قياس الفارسي :

فأما الفارسي (- بغداد ٣٧٧ هـ) فقد عرف فارس والعراق والشام وأقام طويلاً ببلاد الشام وكان أكثر مقامه بحلب في بلاط سيف الدولة ، وطار صيته في النحو وأخذ في القياس يفكر فيه ليله ونهاره ، حتى استقام له منه مذهب وسع الشقة بين الجامدين على السماع وأنصار القياس. والظاهر أن عشق القياس بهره وأخذ على فكره السبل ، فصار يمتحن به كل مسألة تعرض له ، وعلى رسومه يصدر فتاواه ويعتقد آراءه، وقد كان الخطأ في خمسين مسألة في اللغة أحب إليه من الخطأ في مسألة واحدة من القياس كما قال لتلميذه ابن جني [١] . وكذلك كان رحمه الله ، فقد حظيت مدرسة القياس من ثمرات تفكيره بفيض غزير حتى قال ابن جني « أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا» [٢] وليس هذا بالقليل. ولعل خير ما يترجم العالم في مثل مقامنا هذا معرفة نمط من منهجه وإنتاجه : ذكر ابن جني أنه شاهد أبا علي غير مرة «إذا أشكل عليه الحرف الفاء أو العين أو اللام ، استعان على علمه ومعرفته بتقليب أصول المثال

---

(١) سنة ٣٤٦ بحلب — انظر الخصائص ٤٨٢/١

(٢) ١١/١

الذي ذلك الحرف فيه ، فهذا أغرب مأخذاً مما تقتضيه صناعة الاشتقاق»[١]
ونعت هذه الطرائق بأنها « حزنة المذهب والتورد لها وعر المسلك » ..
وقد كان أبو علي رحمه الله يراها ويأخذ بها ، ألا تراه غلّب كون لام
(أثفية) ـ فيمن جعلها أفعولة ـ واواً على كونها ياء (وإن كانوا قد قالوا
« جاء يثفوه ويثفيه ») بقولهم (جاء يثفه) قال : فيثفه لا يكون إلا من
الواو ، فلما وجد فاء (وثف) واواً قوّى عنده في (أثفية) كون لامها واواً
فتأنس اللام بموضع الفاء على بعد بينهما » [٢] « ومن لطيف ما ألقاه رضي
الله عنه عليّ أنه سألني يوماً عن قولهم (هات لا هاتيت) فقال : « ما
هاتيت ؟ » فقلت : « فاعلت ؛ فهات من هاتيت كعاطِ من عاطيت » فقال :
« أشيء آخر ؟ » فلم يحضر إذ ذاك ، فقال : « أنا أرى فيه غير هـذا ..
يكون فَعْليت » قلت : « ممهْ ؟ » قال : « من الهوْتة وهي المنخفض من
الأرض .. وكذلك (هيت) لهذا البلد ، لأنه في منخفض من الارض ،
فأصله (هوْتيت) ثم أبدلت الواو التي هي عين (فعليت) وإن كانت
ساكنة .. فصار هاتيت وهذا لطيف حسن » [٣] .

كان ابن جني يقرأ على الفارسي كتابا للمازني ، فلما جاء ذكر قول

---

(١) الخصائص ١/١١
(٢) ١/١٠
(٣) الخصائص ١/٢٨٥

https://archive.org/details/@user082170

ابي عثمان في الالحاق المطرد : « إن موضعه من جهة اللام نحو قَعْدَد ، ورِمْدَد و شَمْلَل وصَعْرَر . وجعل الالحاق بغير اللام شاذاً لا يقاس عليه مثل : جوهر وبيطر وجدول .. الخ » قال أبو علي :

« لو شاء شاعر أَوساجع أَومتسع أَن يبني بإلحاق اللام اسماً وفعلاً وصفة لجاز له ولكان ذلك من كلام العرب ، وذلك نحو قولك : خَرْجَج أَكرمُ من دَخْلَل ، وضَرْبَب زيدٌ عمراً ، ومررت برجل (ضَرْبَبٍ وكَرْمَمٍ ونحو ذلك) فاعترضه ابن جني قائلا : (أَفترتجل اللغة ارتجالاً ؟!) قال : « ليس بارتجال ، لكنه مقيس على كلامهم ، فهو إذن من كلامهم : أَلا ترى أَنك تقول : (طاب الخشكنانُ) فتجعله من كلام العرب وإن لم تكن العرب تكلمت به هكذا ، فرفعك إياه كرفعها (أَصار) ذلك محمولاً على كلامها ومنسوبا إلى لغتها » (١) .

وسأله ابن جنى يوماً (هل يجوز لنا في الشعر من الضرورة ما جاز للعرب أَولاً ؟) فقال : « كما جاز أَن نقيس منثورنا على منثورهم ، فكذلك يجوز لنا أَن نقيس شعرنا على شعرهم ، فما أَجازته الضرورة لهم أَجازته لنا ، وما حظرته عليهم حظرته علينا ، وإذا كان كذلك فما كان من أَحسن ضروراتهم فليكن من أحسن ضروراتنا ، وما كان من أَقبحها عندهم فليكن من

---

(١) ١/٣٦٣

https://archive.org/details/@user082170

أَقبحها عندنا ، وما بين ذلك بين ذلك »[١] .

وسأله أيضاً عن إثبات النون في قول الشاعر :

أَن تقرآن على أسماء ويحكما   مني السلام وأَلا تشعرا أَحدا

فقال : « أَن مُخففة من الثقيلة ، وأولاها الفعل بلا فصل للضرورة أيضا ، فهذا شاذ عن القياس والاستعمال جميعاً ... لأن الغرض فيما ندونه من هذه الدواوين ونقننه من هذه القوانين إنما هو ليلحق من ليس من أهل اللغة بأهلها، ويستوي من ليس بفصيح ومن هو فصيح ، فإذا ورد السماع بشيء لم يبق غرض مطلوب وعدل عن القياس إلى السماع »[٢] .

وذهب أَبعد من ذلك فكان يرى رسم الألف اللينة أَلفاً دائماً سواءأَ كان أَصلها واواً أَم ياء، وعلة ذلك عنده أن الأَصل أن يطابق الرسم اللفظ[٣] .

وبعد فسيمر بنا كثير من آراء الفارسي في مواضع شتى ، وسنعجب كل الاعجاب بهذا الذهن المنهجي الغواص وسنقرّ أَن ابن جني لم يكن إلى المبالغة حين قال فيه بعد أَن نقل بعض تخريجاته :

« ولله هو ! وعليه رحمته ، فما كان أَقوى قياسه ، وأشد بهذا العلم

---

(١) ٣٢٩/١

(٢) الضرائر ٢٧٣ نقلا عن شرح تصريف المازني . قلت : ونريد اليوم عكس ما كان يريد في القرن الرابع ، نريد اهمال اللغيات واطراد القياس ولن يضيع بذلك شيء ذو بال .

(٣) المطالع النصرية ص ١٢٤ نقلاً عن المسائل الحلبية للفارسي.

https://archive.org/details/@user082170

اللطيف الشريف أنسه! فكأنه إنما كان مخلوقاً له. وكيف لا يكون كذلك وقد أقام على هذه الطريقة مع جلة أصحابها وأعيان شيوخها سبعين سنة زائحةً علله، ساقطة عنه كلفه، وجعله همه وسدمه، لا يعتاقه عنه ولد ولا يعارضه فيه متجر، ولا يسوم به مطلباً ولا يخدم به رئيساً إلا بأخرة وقد حط من أثقاله وألقى عصا ترحاله.»(١)

من قياس ابن جني :

أما إذ وصلنا إلى ابن جني فقد تبوأنا ذروة القياس وفلسفته. لقد كان أعلى علماء العربية كعباً في جميع عصورها، وأغوصهم عامة على أسرار العربية، وأنجحهم في الاهتداء إلى النظريات العامة فيها. وكتابه (الخصائص) لا يزال محط إعجاب علماء العرب والغرب على السواء، وحسبك أن ابن جني مبتدع نظرية الاشتقاق الكبير ومؤسس علم فقه اللغة على ما يحسن أن يفهم عليه هذا العلم اليوم، أما التصريف فهو إمامه دون منازع، وقلما تقرأ كتاباً فيه ولا يكون ابن جني مرجع كثير من مسائله. وكتابه (سر الصناعة) من خير ما حفظ الزمان من هذا التراث، ومما يؤسف له أنه لا يزال ينتظر الطبع حتى اليوم. (طبع)

ولد بالموصل من مملوك رومي لسليمان بن فهد الازدي الموصلي وتوفي

---

(١) الخصائص ١/٢٨٤. السدم: الحرص واللهج بالشيء، وفي الحديث (من كانت الدنيا همه وسدمه جعل الله فقره بين عينيه.) — تاج العروس.

ببغداد سنة (٣٩٢ هـ). صحب أستاذه الفارسي أربعين سنة، وعاش مدة طويلة ببلاط سيف الدولة بحلب حيث أملى المسائل الحلبية، ونشأت هناك بينه وبين المتنبي صداقة أساسها إعجاب كل منهما بمواهب الآخر، وكان من نتائج ذلك أنه شرح ديوان المتنبي ودافع عنه هجمات النقاد، وأن المتنبي كان يقول فيه: «هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس» ويقول «ابن جني أعرف بشعري مني!»[1].

ونحن نتعرف الى منهجه في القياس من كتابه (الخصائص) الذي يدور على الغوص على اسرار اللغة الشاملة، ويطرد القياس ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وستجد أثر الفارسي في تلميذه بارزاً في هذا الكتاب، وأن هذا التلميذ الذي لقن هذا المذهب عن استاذه قد مضى به بعيداً وتقدم إلى الامام مسافات شاسعة، ولعل الحافز له على تأليفه سموهمته إلى جعل أصول للنحو كأصول الدين، فقد جاء في مطلع كتابه قوله «لم نر أحداً من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه»[2].

ابن جني كثير الأنس بالتجربة اللغوية يقلبها على وجوهها المختلفة ويكثر التفكير فيها، ثم يقابل بين اللغات التي يعرفها ليكون حكمه الشامل في اللغة العربية حين يرده الى طبيعة الحس صحيحاً إلى حد بعيد، والظاهر أنه يعرف الفارسية فقد عرض لها في حديثه عن اجتماع الساكنين، قال:

---

(١) انظر ترجمته في ارشاد الاريب المعروف بمعجم الادباء لياقوت.

(٢) الخصائص ١/٣

« ومن طريف حديث اجتماع السواكن شيء وإن كان في لغة العجم، فإن طريق الحس موضع تتلاقى عليه طبائع البشر، ويتحاكم اليه الأسود والأحمر؛ وذلك قولهم (أارد) للدقيق و (ماسْت) للّبَن ، فيجمعون بين ثلاثة سواكن . إلا أنني لم أر ذلك إلا فيما كان ساكنه الأول ألفاً وذلك أن الألف لما قاربت بضعفها وخفائها الحركة صارت (ماست) : كأنها (مسْت) [١] .

وعرض لأمر هام دقيق وهو مايفيدنا اياه رؤية وجه العربي وجملة حاله حين يتكلم ، وان رواية كلامه مجرداً قد يفوّت علينا من مقصوده شيئاً ذا بال :

« فليت شعري اذا شاهد ابو عمرو وابن أبي إسحق ويونس وعيسى ابن عمر والخليل وسيبويه وأبو الحسن وأبو زيد وخلف الاحمر والاصمعي ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ، وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامها وتقصد له من أغراضها ، لاستفادت بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات . » [٢] ونحن نعرف بركة هذا الغوص في كثير من النصوص التي يختلف فيها العلماء لورودها مجردة من الاشارة الى لهجة المتكلم أو حاله . ترد الجملة عن العرب فيجعلها بعضهم

---

(١) الخصائص ٩٣ وانظر بقية البحث حتى ص٩٥ .

(٢) الخصائص ٢٥٨/١

https://archive.org/details/@user082170

تقريراً وبعضهم استفهاماً حذفت أداته .وبعضهم استفهاماً اريد به الانكار والتهكم . . الخ ولو ورد مع النص حال المتكلم لانقطع الخلاف .

والطريف أن ابن جني يورد بعد كلامه هذا أمثلة كثيرة وينتهي من هذا الباب الى الاراه على ان العرب أرادت من العلل والاغراض مايذكره النحاة تماماً ، يقول في آخر باب (أن العرب قد أرادت من العلل والاغراض مانسبناه اليها وما حملناه عليها) [١] :

سألت الشجري يوماً فقلت: « ياأبا عبد الله كيف تقول : (ضربت أخاك ؟) فقال : « كذاك » فقلت : « أفتقول : ضربت أخوك؟ » فقال: « لا أقول أخوك أبداً » . قلت : « فكيف تقول : ضربني اخوك) ؟ » فقال : « كذاك » فقلت : « ألست زعمت انك لاتقول : (اخوك) ابداً ؟» فقال : « إيْش هذا ؟ ! اختلفت جهتا الكلام » . فهل هذا في معناه إلا كقولنا نحن :صار المفعول فاعلاً ،وان لم يكن هذا اللفظ البتة فإنه هو لامحالة.

ثم جعـل ابن جني قول النبي لبني غَيّان (بل انتم بنو رَشدان) بمنزلة قول أَهل الصناعة : إن الالف والنون زائدتان ، والنبي وان لم يتفوه بهذا قد صدقه بفعله حين اشتق من الرشد : رشدان . « وكذلك قولهم : «انما سميت هانئاً لتهنأ » [٢] كقول النحاة: ان الالف زائدة للدلالة على من

---

(١) ص ٢٤٦/١

(٢) ص ٢٥٩/١

قام به الفعل ، فعل ابن جني هذا كله ليقول : ان العلل النحوية والقياس شيء أرادته العرب وفعلته وان لم تنطق بمصطلحاته .

والذي يعجب حقاً في ابن جني مزية الشمول في نظراته ، فان غوصه على السر أداه الى أن يجمع في حكم واحد مالا يجمعه النحاة عادة لعدم انتباههم اليه ، فقد جمع نصب جمع المؤنث السالم والمثنى وجمع المذكر السالم في علة واحدة فقال :

« واعلم ان العرب تؤثر من التجانس والتشابه وحمل الفرع على الاصل ماإذا تأملته عرفت منه قوة عنايتها بهذا الشأن وأنه منها على اقوى بال ، ألا ترى انهم لما أعربوا بالحروف في التثنية والجمع الذي على حده ، فأعطوا الرفع في التثنية الالف ، والرفع في الجمع الواو ، والجر فيهما الياء ، وبقي النصب لاحرف له فيماز به ، جذبوه الى الجر فحملوه عليه دون الرفع .. ثم لما صاروا الى جمع التأنيث حملوا النصب أيضاً على الجر فقالوا ضربتُ الهنداتِ كما قالوا امررت بالهندات ... فدل دخولهم تحت هذا ـ مع ان الحال لا تضطرهم اليه ـ على ايثارهم حمل الفرع على الاصل وان عري من ضرورة الاصل » .

« ومن ذلك حملهم حروف المضارعة بعضها على حكم بعض في نحو حذفهم الهمزة في نكْرم وتُكرم ويُكرم لحذفهم اياها في أُكرم لما كان يكون هناك من الاستثقال لاجتماع الهمزتين في نحو أؤكرم .. » (١)

(١) الخصائص ١/١١٦ وانظر مزية الشمول عنده في باب (ترافع الاحكام) ١/٥٠٢ ففيه عجائب .

https://archive.org/details/@user082170

حذا ابن جني حذو استاذه الفارسي بل شآه في تعميم القياس وتوسيع طرق الاشتقاق وكان يقول : « مسألة واحدة من القياس انبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس »[١]

ولما عرض للابدال وذكر لغات (فُسطاط ، فِستاط ، فُساَّط) وان الجمع فيها (فساطيط وفساسيط) فقط وذهابهم الى ان (التاء) في (فستاط) بدل من الطاء أو السين، رجح ابن جني كونها بدلا من السين بقوله: « اذا حكمت بأنها بدل من سين (فساط) ففيه شيئان جيدان : احدهما تغيير ثاني المثلين وهو أَقيس من تغيير الاول من المثلين لان الاستكراه في الثاني يكون لافى الاول ، والآخر ان السينين في (فساط) ملتقيتان والطائين من (فسطاط) منفصلتان بالف بينهما ، واستثقال المثلين ملتقيين أحرى من استثقالهما متفرقين ، فعلى هذا الاعتبار ينبغي أَن يلقى مايرد من حديث الابدال »[١]

وقد أراد أن يشرح كتاب يعقوب بن السكيت في (القلب والابدال) على هذا النمط المنهجي لان «معرفة هذه الحال فيه أمثل من معرفة عشرة أمثال لغته[١] » كما قال .

لم يتخذ ابن جني القياس مذهباً لنفسه فحسب ، بل كان يغري به ويدعو اليه ويحض عليه ويبيح فيه الارتجال فيقول : « للانسان أن يرتجل من

---

(١) ١/٤٨٢

المذاهب مايدعو اليه القياس مالم يلو بنص او ينهك حرمة شرع .» [١]

حتى اذا أداك القياس الى مالم تنطق به العرب قط فليس لك أن ترمي به، بل تُعدّه لشاعر مولدأو لساجع أو لضرورة، لانه قياس على كلامهم [٢]»

والأساس عنده في القياس الاعتبار المعنوي فهو يرجح القياس المعنوي على القياس اللفظي ، بل يذهب الى أَن القياس اللفظي إذا تأملته لم تجده عارياً من اشتمال المعنى عليه ، أَلا ترى انك إِذاسئلت عن (إِنْ) من قوله:

ورجِّ الفتى للخير ما إِن رأيته على السن خيراً لا يزال يزيد [٣]

فإِنك قائل : دخلت على (ما) وإِن كانت (ما) ها هنا مصدرية لشبهها لفظاً بما النافية . . وشبه اللفظ بينهما يصير (ما) المصدرية كأَنها (ما) التي معناها النفي . أَفلا ترى أَنك لو لم تجذب إِحداهما إِلى أَنها كأَنها بمعنى الأُخرى لم يجز لك الحاق (إِن) بها. فالمعنى إِذاً أَشيع وأَسير حكماً من اللفظ ، لأَنك في اللفظي متصور لحال المعنوي ، ولست في المعنوي محتاج الى تصور حكم اللفظي » [٤]

ومن أَعود بحوثه على العربية بالخير والنماء لو أن هناك من يفيد منه ،

---

(١) ١٩٦/١

(٢) ١٣٢/١

(٣) البيت للمعلوط القريعي

(٤) الخصائص : باب مقاييس العربية ١١٥/١

المبحث الذي ابتدعه وهو (الاشتقاق الكبير)، البحث الذي قال فيه آدم متز: « إنه لا يزال يؤتي ثمره الى اليوم، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم منه »[١] وسنخصه بالذكر عندما نعرض للاشتقاق. على أن له أيضاً بحوثاً كثيرة الفائدة في (الخصائص) منها بحث خلاف الألفاظ مع تقارب المعاني المشتقة[٢]، وهو هام جداً يصح أن يعتبر أساساً لـ (فقه اللغة)، فقد أوضح فيه مذهبه ودعمه بأمثلة كثيرة، ورسم له نهجاً شاملاً[٣] لمن يريد التوسع على طريقته. ولو ترسم من أتى بعده خطاه لكان لنا اليوم في (فقه اللغة) تراث قيم جداً.

(ب)

أثر العلوم الدينية في القياس اللغوي

لاشك في أن الباعث الأول لنشأة العلوم العربية هو الدين الجديد الذي أتاهم به محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؛ فاهتمامهم بأحكامه حفز على تدوين الفقه والحديث ثم نشأة العلوم المتعلقة بهما، وعنايتهم بالقرآن الكريم صرفتهم الى الاهتمام بقراءاته وتفاسيره وتاريخه، وذلك حملهم

---

(١) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ١/٣٣٠ لآدم متز.

(٢) انظر الخصائص ١/٥٠٧

(٣) ١/٥٢٤

https://archive.org/details/@user082170

على ضبط اللغة وإحكام قواعدها . ولم تنقض المئة الثانية حتى كان للفقه كتبه ومذاهبه وأصوله ، كما كان للدين أيضاً كتبه وجدله وأصوله ومتكلموه وفرقه . دوّن أولاً الفقه وأصوله والحديث ، ثم جاء النحو يتقدم رويداً رويداً ، وبدأ يدوّن وتنسق أبوابه وفصوله ، ثم جاءت بعد الطبقة الأولى طبقات وتميزت المذاهب فيه بعضها من بعض ، ثم كان له أصوله أيضاً :

يقر النحاة بأنهم احتذوا في أصولهم أصول الفقه عند الحنفية خاصة ، فهذا ابن جني يصرح فيقول :

« ينتزع أصحابنا العلل من كتب محمد بن الحسن (الشيباني صاحب أبي حنيفة) لأنهم يجدونها منثورة في أثناء كلامه ، فيجمع بعضها الى بعض بالملاطفة والرفق »[1] بل إنه هو نفسه يعقد باباً في الخصائص يثبت فيه « أن علل جل النحويين وأعني بذلك حذاقهم المتقنين لا ألفافهم المستضعفين ، أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل المتفقهين ، وذلك أنهم إنما يحيلون على الحس ويحتجون فيه بثقل الحال أو خفتها على النفس . . الخ »[2] .

---

(١) الخصائص ١/١٦٨

(٢) ١/٤٦ وفيه يورد أمثلة ومقايسات ، منها تعليله اختصاص الفاعل بالرفع دون النصب لان للفعل فاعلا واحداً ومفعولات متعددة أحيانا ، فخصوه بالرفع لقلته وخصوا المفعول بالنصب لانه أخف على ألسنتهم « ليقل في كلامهم ما يستثقلون » وانظر بعد ذلك كلامه على : ميزان ، موسى .

https://archive.org/details/@user082170

هذا في المئة الرابعة، واستمر الحال بعده، فهذا السيوطي في المئة العاشرة يؤلف كتاب (الاقتراح) ويذكر أنه « بالنسبة الى النحو كأصول الفقه بالنسبة الى الفقه . . . ورتبته على نحو أصول الفقه في الأبواب والفصول والتراجم . . فيعرف به القياس وتركيبه وأقسامه من قياس العلة وقياس الشبه وقياس الطرد الى غير ذلك على حد أصول الفقه ، فإن بينهما من المناسبة مالا خفاء به لأن النحو معقول من منقول كما ان الفقه معقول من منقول . . . »(١) .

وإذا عرفت أن القياس أداته العقل وأن أئمة القياس في النحو سيبويه والفراء وأبو علي الفارسي وابن جني والزمخشري وأضرابهم كلهم كانوا معتزلة، والاعتزال كما تعلم منهج يستند إلى « تحكيم العقل مع المحافظة على الدين وهو منهج في البحث والتجربة والاستدلال العقلي والشك والقياس ... وقد كان للمعتزلة أثر كبير في القياس في اللغة ، يظهر ذلك في قولهم بأن اللغة اصطلاحية من وضع البشر لا توقيفية، وكما يظهر في تحرر الجاحظ وأمثاله من المعتزلة في تشقيقهم الكلام واستعمالهم للمولد من الألفاظ بل الأعجمي، وكما يظهر أيضاً في أن زعيمي مدرسة القياس وهما أبو علي الفارسي وابن جني كانا من المعتزلة ، وكما يظهر في البحوث اللغوية الطريفة التي حققها الزمخشري في كتبه وتفريقه بين دلالة الألفاظ عن طريق الحقيقة ودلالتها

---

(١) انظر مقدمة الاقتراح .

https://archive.org/details/@user082170

عن طريق المجاز ، وهو معتزلي أيضاً ـ فلما ذهبت دولة المعتزلة غلبت دولة المحافظين في اللغة كما هو الشأن في كل علم »[١] .

هذا في القياس خاصة ، وقد علمت أن علماء العربية احتذوا طريق المحدثين من حيث العناية بالسند ورجاله وتجريحهم وتعديلهم ، وطرق تحمل اللغة . . . فكانت لهم نصوصهم اللغوية كما كان لأولئك نصوصهم الحديثية ولهم طبقات الرواة كما لأولئك ، ثم احتذوا المتكلمين في تطعيم نحوهم بالفلسفة والتعليل ، ثم حاكوا الفقهاء أخيراً في وضعهم للنحو أصولاً تشبه أصول الفقه ، وتكلموا في الاجتهاد فيه كما تكلم الفقهاء ، وكان لهم طرازهم في بناء القواعد على السماع والقياس والاجماع كما بنى الفقهاء استنباط أحكامهم على السماع والقياس والاجماع ؛ وذلك أثر واضح من آثار العلوم الدينية في علوم اللغة .

(ج)

من احكام القياس[٢]

للقياس أربعة أركان :

١ — أصل وهو المقيس عليه

---

(١) (مدرسة القياس في اللغة) محاضرة الاستاذ احمد امين بك في مجمع اللغة العربية في دورة ١٩٤٩ .

(٢) مختصر بتصرف عن (الاقتراح) للسيوطي ص ٤٦ فما بعد .

https://archive.org/details/@user082170

٢ — وفرع وهو المقيس

٣ — وحكم

٤ — وعلة جامعة

وقد عرفت أن ذلك مثل أن تركب قياساً في الدلالة على رفع ما لم يسم فاعله فتقول : اسم أسند الفعل إليه مقدماً عليه فوجب أن يكون مرفوعاً قياساً على الفاعل.

١ — فالأصل هو الفاعل، ٢ — والفرع هو ما لم يسم فاعله ، ٣ — والحكم هو الرفع ، ٤ — والعلة الجامعة هي الاسناد .

ا — في المقيس عليه :

١ — من شروطه ألا يكون شاذاً خارجاً عن سنن القياس ، فما كان كذلك لا يجوز القياس عليه كتصحيح مثل: استحوذ ، استصوب، استنوق وكحذف نون التوكيد في قوله :

« اصرف عنك الهموم طارقها »

أي (اصرفن) ووجه ضعفه في القياس أن التوكيد للتحقيق وإنما يليق به الاسهاب والاطناب لا الاختصار والحذف .

٢ — كما لا يقاس على الشاذ نطقاً لا يقاس عليه تركاً كامتناعك من (وذر ، ودع) مع جوازهما قياساً لأن العرب تحامتهما [١] .

---

(١) عرفت من ص (٢٥-٢٧) أن العربية ماتحامتهما ، فاعرف الآن أن ابن درستويه وهو الذي سلم خطأ بأن العربية أهملتهما قال : « واستعمال ما أهملوا من هذا جائز صواب وهو الاصل ، بل هو في القياس الوجه » — انظر المزهر ٢/٤٦ (طبعة عيسى البابي الحلبي) بعناية (محمد احمد جاد المولى ورفيقيه).

https://archive.org/details/@user082170

٣ — ليس من شرط المقيس عليه الكثرة فقد يقاس على القليل لموافقته للقياس ويمتنع على الكثير لمخالفته له :

مثال الأول : شنئي نسبة إلى شنوءة :

اكتفى سيبويه بهذا الوارد ، لأن السماع لم يرد بخلافه لا في هذا اللفظ ولا فيما كان من نوعه ، فقاس عليه وجعل وزن (فَعَلِيّ)قياساً في (فعولة) مع أنه لم يقع إليه من شواهده إلا هذه الكلمة المفردة ، فهو يقول في النسب إلى (ركوبة ، حلوبة : ركبيٌّ ، حلَبيّ) .

أَما الأخفش فجعله شاذاً لا يقاس عليه ، ونسب الى الكلمتين بقوله: (ركوبي وحلوبي) لكن القياس يؤيد سيبويه في قياسه على شنوءة شنئي بما يأتي :

فعولة = فعيلة، فكل منهما ثلاثي ثالثه حرف لين وانتهى بتاء التأنيث، فجعلوا واو شنوءة كياء حنيفة وعاملوها مثلها في النسبة . (ولا يقول في ضرورة : ضرري لأنه لا يقال في جليلة : جللي) .

قال أبو الحسن : « فإن قلت : إنما جاء هذا في حرف واحد (يعني شنوءة) فالجواب : أَنه جميع ماجاء » .

ومثال الثاني : قولهم في (ثقيف وقريش وسُلَيْم) : ثقفي وقرشى وسلمي .. وإن كان أكثر من شنئي فإنه عند سيبويه ضعيف في القياس

فليس لك أن تقول في سعيد : سعدي [١]

٤ ـ للقياس أربعة أقسام :

١ – حمل فرع على أصل كإعلال الجمع لاعلال المفرد مثل (قيمة : قيم) أو تصحيحه لصحة المفرد مثل : (ثور : ثِوَرة) .

٢ — حمل أصل على فرع كإعلال المصدر لإعلال فعله (قام : قياماً) أو تصحيحه لصحة فعله مثل : (قاومت : قِواماً) ، وكحذف الحروف في الجزم وهي أصول حملا على حذف الحركات .

٣ – حمل نظير على نظير : منعوا (أفعل التفضيل) من رفع الظاهر لشبهه بـ(أفعل التعجب)، وأجازوا تصغير أفعل التعجب حملاً على اسم التفضيل .

٤ — حمل ضد على ضد : من أمثلته النصب بـ (لم) حملاً على الجزم بـ (لن) ، أولهما لنفي الماضي والثاني لنفي المستقبل . [٢]

---

(١) هذا « والكلمة أو الكلمتان لا تقومان في وجه القاعدة التي يجري عليها الفصحاء في عامة مخاطباتهم ولو نقلت عن فصيح عربي : اذ يجوز أن تكون قد صدرت منه على وجه الغلط أو القصد الى تحريف اللغة ، فان السنة الفصحاء قد تقع في زلة الخطأ وتطوع لهم متى قصدوا الى تغيير الكلمة عن وضعها المعروف لهزل ونحوه . » اهـ عن القياس في اللغة العربية ص ٤٣ .

(٢) قلت : شاهد الجزم بـ (لن) قول أعرابي يمدح الحسين بن علي :

لن يخب الآن من رجائك من حرك من دون بابك الحلقه

وشاهد النصب بـ (لم) قراءة بعضهم : « ألم نشرحَ لك صدرك » وقول الحارث بن منذر الجرمي :

في أي يومي من الموت أفر أيوم لم يقدرَ أم يوم قدر

انظر (لم) ، (لن) في مغني اللبيب

https://archive.org/details/@user082170

ب — في المقيس :

وهل يوصف بأنه من كلام العرب أم لا (تقدم هـذا ص ٦٤)

وقد قال ابن جني : « اللغات على اختلافها كلها حجة ، والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطىء » .

د — في الحكم وفيه مسألتان :

جواز القياس على حكم ثبت بالقياس (اذ الأصل ان يثبت بالسماع) .

وجواز القياس على أصل اختلف في حكمه كقولهم في (إلا) إنها نابت مناب فعل فهي تعمل عمله قياساً على (يا) ، فإن إعمال يا مختلف فيه .

في العلل :

(تقدم كون علل النحويين أقرب الى علل المتكلمين منها الى علل الفقهاء)

١ — « اعتلالات النحويين صنفان : علة تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون لغتهم ، وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم .

فالأولى : أكثر استعمالاً وأشد تداولاً وهي واسعة الشعب (عدها السيوطي ٢٤) منها :

علة سماع : يقال امرأة ثدياء (ولا يقال رجل أثدى) لعدم السماع .

علة تشبيه : كإعراب المضارع لمشابهته الاسم ، وبناء بعض الاسماء لمشابهتها الحروف .

علة استثقال : كاستثقالهم الواو في (يعد) بين ياء وكسرة .

علة فرق : فيما ذهبوا اليه من رفع الفاعل ونصب المفعول .

(قلت : تقدم لابن جني تعليل يرد هذا إلى علة الاستثقال وهو جد وجيه)

علة نظير: مثل كسرهم أحد الساكنين إذا التقيا في الجزم حملاً على الجر إذ هو نظيره .

علة حمل على المعنى : « فمن جاءه موعظة من ربه[١] » ذكّر الفعل (جاء) مراعاة لمعنى (الموعظة) .

علة مشاركة : في قوله (سلاسلاً وأَغلالاً) [٢] في قراءة من نوّن سلاسل ... الخ العلل [٣] .

٢ — يجوز التعليل بعلتين: كقولك (هؤلاء مسلميّ) فإن الاصل : مسلموي : قلبت الواو ياء لأمرين كل منهما موجب للقلب : اجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بسكون ، والثانية أَن ياء المتكلم توجب كسر ما قبلها فوجب قلب الواو ياء وادغامها .

٣ — يجوز التعليل بالامور العدمية كتعليل بعضهم بناء الضمير

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٧٥

(٢) سورة الدهر ٧٦/٤

(٣) انظرها في الاقتراح ص ٥٦

https://archive.org/details/@user082170

باستغنائه الاعراب وباختلاف صيغه لحصول الامتياز بذلك .

أنت ترى أَن بعض العلل النحوية حسية مقبولة ، وبعضها فرضية ؛ لكن لهم قسما ثالثاً من العلل وهو (العلل الخيالية) ومثلوا لها بـ(هل) « فإن الأصل فيها دخولها على الفعل ،وقد تخرج عن الأصل فتدخل على اسم خبره اسم ، ولا تدخل على اسم خبره فعل مثل (هل عمرو كتب) وعللوا ذلك بأن (هل) إذا لم تر الفعل في حيزها تسلت عنه ذاهلة ، وإن رأته في حيزها حنت إليه لسابق الالفة فلم ترض حينئذ إلا بمعانقته ! (١) .

وقد ضايقت تعليلاتهم وقياسهم وتعقبهم ، معاصريهم من الشعراء فقال عمار الكلبي وقد عابوه في بعض شعره :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكراً يكون بها	بيت خلاف الذي قاسوه أَو ذرعوا
قالوا : « لحنت ، وهذا ليس منتصباً ،	وذاك خفض ، وهذا ليس يرتفع
وحرضوا بين عبد الله من حمق	وبين زيد ، فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على إعرابهم طبعوا
ما كل قولي مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون ، وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أَرضي أَرض لا تشب بها	نار المجوس ولا تبنى بها البيع

---

(١) القياس في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين ص ٧٦ .

https://archive.org/details/@user082170

(د)

العصريون والقياس

وبعد ، فليت الأمر وقف بالقياس عند المدى الذي وصل إليه الفارسي وابن جني ، إنه بدأ يتراجع القهقرى بعد القرن الرابع ، وغلب على اللغة وعلومها الجمود ، ثم آل هذا التراث إلى علماء لا سليقة لهم فغشوه بأغشية من مؤلفاتهم لا روح فيها ، فلما كانت مبشرات النهضة آخر المئة الماضية وأول هذه المئة ، وتدفق سيل حاجات الحياة من الحضارة الغربية ، وجد القوم أنفسهم إزاء مستحدثات لا قبل لهم بها إلا إذا جدوا متكاتفين ، وهذا ما لم يكن ، لعوامل ليس هذا مكان ذكرها .

كثرت الصحف والمجلات والمؤلفات واحتاجوا إلى فيض من المصطلحات يعبرون بها فكانوا ازاء حاجات العصر الحديثة فريقين : فريقاً دعا إلى إدراج لغة السوق في الكتابة والمدارس على عاميتها وعجمتها ، وفريقاً جمد على ماورد عن العرب الأولين ، وكان تجاذب بين الفريقين معهما أنصارهما ... إلى أن قيض الله فريقاً ثالثاً ترفع عن ابتذال الدهماء في الاسواق ، وحرص على التراث العربي الكريم ، فشمر عن ساعد الجد يتحرى لهذه المستحدثات مصطلحات عربية ، فإن لم يجد أحدث لها عن طريق الاشتقاق أو المجاز أو التعريب أحياناً قليلة . ثم كانت في مصر

https://archive.org/details/@user082170

محاولات لتأسيس مجامع لغوية تسهر على سلامة الفصحى وتمدها بما تستطيع معه استمرار الحياة بنشاط ، ولم تثبت للزمن تلك المحاولات بمصر ؛ وإنما قام بالعبء — على قدر استطاعته — المجمع العلمي العربي بدمشق الذي أَنشئ على عهد المرحوم الملك فيصل الأول سنة (١٩١٨ م) وكان نشيطاً كل النشاط أَول حياته ، فأمد الصحافة ودواوين الحكومة والمدارس والمعاهد بفيض صالح من الأسماء والمصطلحات ، كما انصرف الى اصلاح لغة الدواوين والصحف والكتب المدرسية بحيث لم يكن يجوز طبع كتاب لم ينظر في لغته احد اعضاء المجمع . ولم يطل بمجمع دمشق هذا النشاط أَكثر من عشر سنين ، لكن الأمر استمر خارجه ، وسهرت المعاهد العليا والثانوية على اطراد النهضة .

قرارات المحدثين

تعددت المحاولات في مصر كما أَسلفت ، حتى صار الشعور بضرورة المجمع رغبة عامة للأمة ، لباها الملك فؤاد الأول رحمه الله بأخرة ، حين أسس (مجمع فؤاد الأول للغة العربية[١]) وبدأَ عمله سنة (١٩٣٤ م) يضم أَعلاماً من خير علماء العربية حين التأسيس ، وكان في جملة ما عالج من موضوعات

---

(١) ليحافظ على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة حاجات الحياة في العصر الحاضر . — انظر المادة الثانية من مرسوم انشائه ١/٦ من مجلته .

https://archive.org/details/@user082170

قضية القياس في اللغة، فأصدر فيها – بعد مذاكرات حول المشروعات المقدمة – قرارات سديدة يصح ان نعدها بعثاً لحركة القياس بعد نوم امتد ألف سنة، من المئة الخامسة للهجرة حتى اليوم.

وبإثباتنا هذه القرارات نختتم الكلام على القياس مادة وتأريخاً :

قرار التضمين [١] :

التضمين أن يؤدي فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطى حكمه في التعدية واللزوم.

ومجمع اللغة العربية يرى أنه قياسي لا سماعي بشروط ثلاثة :

١ – تحقق المناسبة بين الفعلين.

٢ – وجود قرينة تدل على ملاحظة الفعل الآخر ويؤمن معها اللبس.

٣ – ملاءمة التضمين للذوق العربي.

ويوصي المجمع ألا يلجأ الى التضمين الا لغرض بلاغي.

أمثلة التضمين في القرآن الكريم :

«..وإذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم.» [٢] ضمن (خلا) معنى (انتهى)

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١/٣٣ وانظر الاحتجاج لهذه القرارات فى ص ١٧٧ – ٢٦٣ من الجزء نفسه.

(٢) سورة البقرة ٢/١٤

https://archive.org/details/@user082170

«الله يستهزىء بهم و يمُدُّهم في طغيانهم يعمهون .»(١) — ضمن (يمد) معنى (يزيد)

«.. والله يعْلم المفسد من المصلح..»(٢) — ضمن (يعلم) معنى (يميز)

«.. ولتكبّروا الله على ما هداكم ..»(٣) — ضمن(لتكبروا)معنى(لتحمدوا)

«.. فأماته الله مئة عام ثم بعثه .. »(٤) — ضمن (أمات) معنى (ألبث)

«.. لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً .. »(٥) — ضمن(يألونكم) معنى (يمنعونكم)

«.. ومايفعلوامن خيرفلن يُكفَروه ..»(٦) — ضمن(يكفروه)معنى(يحرموه)

«.. ولا تأكلواأموالهم الى أموالكم..»(٧) — ضمن (تأكلوا) معنى (تضموا)

«ألم ترالى الذين أوتوانصيباً من الكتاب..»(٨) — ضمن (ترى) معنى (تنتهي)

«.. ولو جاءهم أمر من الأمن أَو الخوف أَذاعوا به »(٩) — ضمن (اذاعوا)معنى(تحدثوا)

---

(١) سورة البقرة /١٥

(٢) سورة البقرة /٢٢٠

(٣) سورة البقرة /١٨٥

(٤) سورة البقرة / ٢٥٩

(٥) سورة آل عمران ٣/١١٥

(٦) سورة آل عمران ٣/١١٥

(٧) سورة النساء ٤/٢

(٨) سورة آل عمران ٣/٢٣

(٩) سورة النساء ٤/٨٢

https://archive.org/details/@user082170

«.. وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك..»(١) ضمن (تارك) معنى (صادر)

«.. وعَتَوْا عن أمر ربهم ..»(٢) ضمن (عتوا) معنى (انحرفوا)

«أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها(٣) ضمن (يهد) معنى (يتضح)

«حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق..»(٤) ضمن (حقيق) معنى (حريص)

«يا أيها الذين آمنوا مالكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض ..»(٥) ضمن (اثاقلتم) معنى (أخلدتم)

«ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه »(٦) ضمن (يرغبوا) معنى (يبخلوا)

«ويا قوم من ينصرني من الله ان طردتهم..»(٧) ضمن (ينصر) معنى (يجير)

«ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون(٨) ضمن (تخاطب) معنى (تراجع)

---

(١) سورة هود ١١/٥٣

(٢) سورة الاعراف ٧/٧٦

(٣) سورة الاعراف ٧/٩٩

(٤) سورة الاعراف ٧/١٠٤

(٥) سورة التوبة ٩/٣٩

(٦) سورة التوبة ٩/١٢١

(٧) سورة هود ١١/٣٠

(٨) سورة هود ١١/٣٧

https://archive.org/details/@user082170

قرار التعريب[1] :

يجيز المجمع أَن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية ـ عند الضرورة ـ على طريقة العرب في تعريبهم .

قرار المولّد[1]

المولد هو اللفظ الذي استعمله المولدون على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على أَقيسة كلام العرب من مجاز واشتقاق أَو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات وغير ذلك ؛ وحكمه أَنه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه عن أقيسة كلام العرب إِما باستعمال لفظ أَعجمي لم تعربه العرب (وقد أَصدر المجمع في شأن هذا النوع قرار التعريب السابق) ، وإِما بتحريف في اللفظ أَو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ، وإِما بوضع اللفظ ارتجالا[2] .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١/٣٣ وانظر الاحتجاج لذلك في ص ١٧٧ ـ ٢٦٣ من الجزء نفسه .

(٢) ترتجله السوقة وتروجه ، وربما سرى الى بعض الخاصة في كلامهم العادي كالجلعصة والشرشحة مثلا .

https://archive.org/details/@user082170

في الصياغة والاشتقاق[١] :

قرار (فِعالة) للحرفة :

يصاغ للدلالة على الحرفة أَو شبهها من أَي باب من أبواب الثلاثي مصدر على وزن (فِعالة) بالكسر .

قرار (فَعَلان) للتقلب والاضطراب[١] :

يقاس المصدر على وزن (فَعَلان) لفعَل اللازم مفتوح العين إذا دل على التقلب والاضطراب .

قرار (فُعال) للمرض[١] :

يقاس من (فَعل) اللازم المفتوح العين مصدر على وزن (فُعال) للدلالة على المرض .

قرار (فُعال و فَعيل) للصوت[٢] :

إذا لم يرد في اللغة مصدر لفعَل اللازم مفتوحَ العين الدال على صوت، فيجوز أن يصاغ له قياساً مصدر على وزن (فُعال) أَو (فَعيل) .

قرار المصدر الصناعي[٢] :

إذا اريد صنع مصدر من كلمة، يزاد عليها ياء النسب والتاء .

---

(١) ٣٤/١

(٢) ص ٣٥/١

https://archive.org/details/@user082170

قرار (فعّال) للنسبة الى الشيء[١]:

يصاغ (فعّال) قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء.

فإذا خيف لبس بين صانع شيء وملازمه، كانت صيغة (فعّال) للصانع وكان النسب بالياء لغيره، فيقال (زجّاج) لصانع الزجاج، (و زُجاجي) لبائعه.

قرار اسم الآلة[١]:

يصاغ قياساً من الفعل الثلاثي على وزن (مِفْعَل، و مِفْعال، و مِفْعَلة) للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء[٢].

قرار الاشتقاق من أسماء الاعيان[٣]:

اشتق العرب كثيراً من أسماء الأعيان[٤].

والمجمع يجيز هذا الاشتقاق - للضرورة - في لغة العلوم[٥].

---

(١) ١/٣٥

(٢) قلت: أحكام هذه القرارات كانت موضع خلاف منذ القديم بين من يقصرها على ما لم يسمع له صيغة مخصوصة، ومن يرى اطراد القياس فيها الى جانب ما سمع له صيغة أخرى، والخطوة التي خطاها المجمع هي حسمه الخلاف بميله الى اطراد القواعد، وخيراً صنع.

(٣) ١/ ٣٦

(٤) ١/ ٣٧

(٥) فنقول مثلاً: منحّس (كما قالوا مفضض)، مزنـخ، مبلر، مقصدر، مكهرب ممغنط، منشّى، (مُعضّى، متعض)، استماه البخار، استماس الفحم، استرب

https://archive.org/details/@user082170

قرار مطاوع (فعل) الثلاثي[١] :

كل فعل ثلاثي متعد دال على معالجة حسية فمطاوعه القياسي :(انفعل) مالم تكن فاء الفعل واواً ، أَو لاماً ، أَو نوناً ، أَو ميماً ، أو راء ، ويجمعها قولك (ولنمر) فالقياس فيه (افتعل) .

قرار مطاوع (فعّل) بتشديد العين[١] :

قياس المطاوعة لفعّل مضعف العين (تفعّل) ، والأغلب فيما ضعف للتعدية أن يكون مطاوعه ثلاثيه .

قرار مطاوع (فاعل)[١] :

(فاعل) الذي أريد به وصف مفعوله بأصل مصدره مثل (باعدته)، يكون قياس مطاوعه (تفاعل) كتباعد .

قرار مطاوع (فعْلل)[٢] :

(فعلل) وما ألحق به قياس المطاوعة منه على (تفعلل) نحو دحرجته فتدحرج ، وجلببته فتجلبب .

النشا (الرب الغليكوز=عسل الفاكهة) كما قالوا : حنّيته ـ بوبته ـ تربت يداه ، أترب ، جوْربته فتجورب ... ـ ارض مذبة ، المِذبة .ـ المزفت ـ زِتّ الطعام (وتجد في احتجاجات السكندري كثيراً ج١ أمما اشتق العرب من اسماء الاعيان)ص ٢٣٦ـ٢٦٨ من المجلة نفسها .

(١) ١/ ٣٦

(٢) ١/ ٣٧

https://archive.org/details/@user082170

LIBRARY

قرار التعدية بالهمزة[١] :

يرى المجمع أن تعدية الفعل الثلاثي اللازم بالهمزة قياسية .

قرار صيغة (استفعل) للطلب والصيرورة[١] :

يرى المجمع أَن صيغة (استفعل) قياسية لإِفادة الطلب أو الصيرورة .

ملحقات الاصول العامة[١] :

الأول — يفضل اللفظ العربي على المعرب القديم إِلا إِذا اشتهر المعرب.

الثاني — ينطق بالاسم المعرب على الصورة التي نطقت بها العرب .

الثالث — تفضل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة ، إِلا اذا شاعت .

الرابع — تفضل الكلمة الواحدة على الكلمتين فأكثر عند وضع اصطلاح جديد ، إِذا أمكن ذلك ، وإِذا لم يمكن تفضل الترجمة الحرفية[٢] .

---

(١) ١ / ٣٧

(٢) وفي ٢ / ٣٣ فما بعد قرار :

١ — تكملة مادة لغوية ورد بعضها في المعجمات ونحوها ولم ترد بقيتها .

٢ — قرار النسبة الى جمع التكسير (عند ضرورة التمييز ونحوها)

٣ — قرار قياس (مفعلة) للمكان يكثر فيه الشيء . =

https://archive.org/details/@user082170

LIBRARY

وأَنت قد عرفت أَن أَكثر هذه القرارات كانت حول القضايا التي كان فريق من العلماء يقصرها على السماع وآخر يقيس عليها مالم يرد عنهم فيه سماع ، اما المجمع الحديث فقد نهج منهجاً يستطيع ان يحقق به مقتضيات الزمن ، وقد سبقه الى سد الثلمة — وان كان على نحو علمي اضيق — مجمع دمشق . اما الجامعة السورية فقد اضطر اساتيذها ورجال الطب منهم خاصة إِلى مصطلحات علمية كثيرة ؛ وضعوها على ماتقتضيه الأُصول العربية تعريباً واشتقاقاً ووضعاً فأَغنوا بعض الغناء .

والذي نختم به هذا البحث أن الواجب لاينتهي برسم الخطة ، بل إِن رسم الخطة شيء وتحقيقها شيء آخر ؛ فإِذا شرع المجمع يحقق مارسم ويمد المعاهد والمؤسسات والمجتمع كله بما يحتاج إِليه من أسماء وأفعال لحاجاتنا اليومية والاجتماعية والعلمية والفنية والوجدانية ، والحضارية بصورة عامة ، إِذا فعل ذلك كان في طريق أداء الواجب عليه وتحقيق المصلحة التي من أَجلها أنشأه منشئه رحمه الله .

ويبقى بعد ذلك للغة العربية فيض زاخر من المرانة ، على أَهلها أَن يفيدوا منه ولا يعطلوه . إِذ قد ثبت على مر الزمن أَنها تسبق الباحثين

= ٤ — قرار قياس (فعّال) للمبالغة من الثلاثي اللازم والمتعدي .

وفي ١٤/ ١٧٤ بحث ثم قرارات في قياسية جموع التكسير — فليرجع الى ذلك كله .

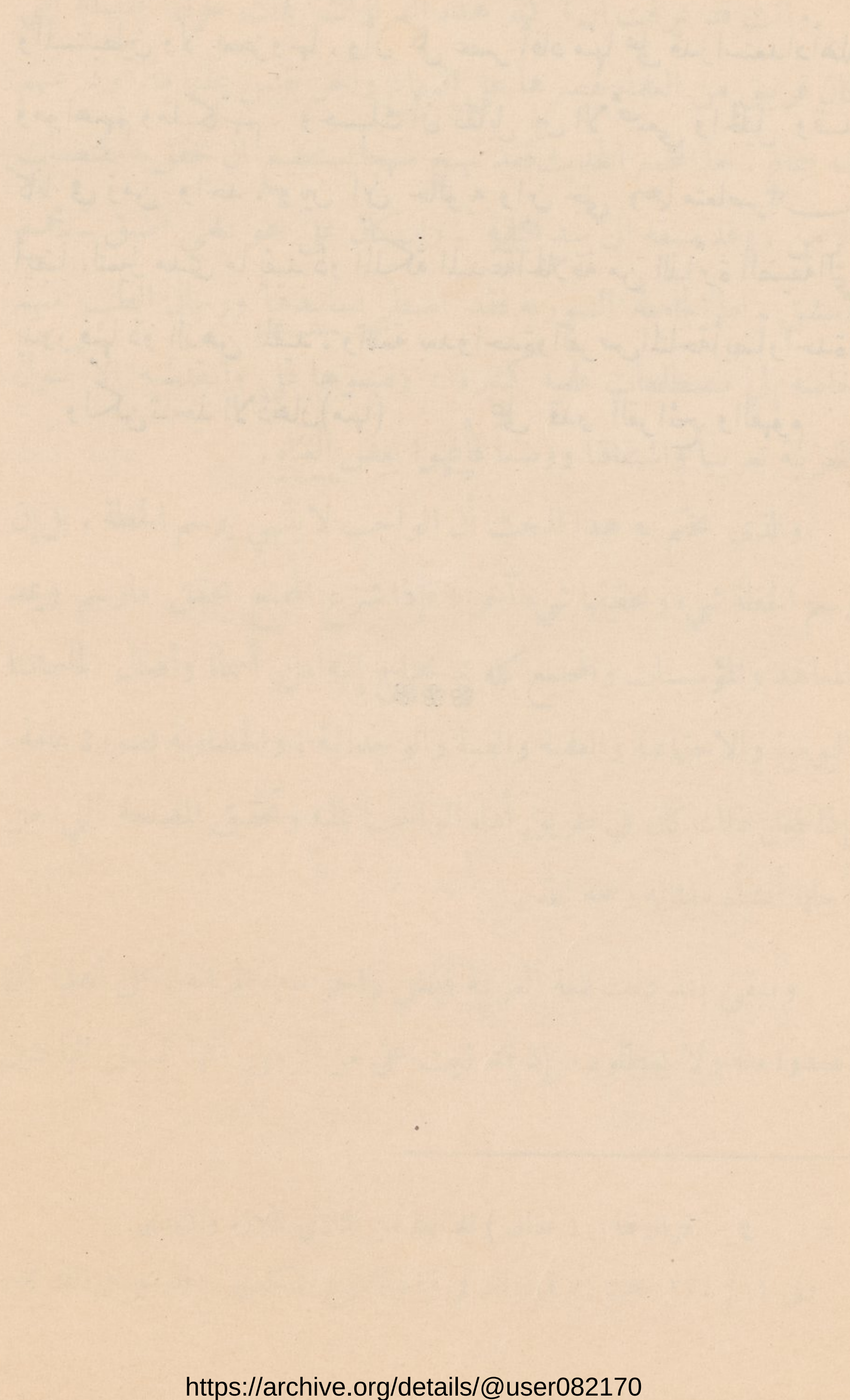
https://archive.org/details/@user082170

والمستنبطين ولا يعجزونها ، وأَن كل عصر أَفاد منها على قدر استعداد أهله ومواهبهم وملكاتهم . وحسبك أن تقابل بين الأصمعي والخليل وقد كانا في زمن واحد ، وبين ابن خالويه وابن جني وهما متعاصران أَيضاً ، لتميز مدى ما يفيد ذو الملكة المبدعة الخلاقة من الدائرة الضيقة التي يدور فيها ذو الذهن المقيد ، واللغة بعد واحدة والفرص المتاحة أَيضاً واحدة:

ولكن تأخذ الاذهان (منها) على قدر القرائح والفهوم

❀❀❀

https://archive.org/details/@user082170



https://archive.org/details/@user082170

الاشتقاق

في اللغة العربية

https://archive.org/details/@user082170

الاشتقاق

١ معناه ـ ٢ انواعه ـ ٣ مصدره ـ ٤ أحكامه ـ ٥ خاتمة .

(١)

معنى الاشتقاق

أقدم استعمال لهذه الكلمة في معناها المعروف ما ورد في الحديث الصحيح :
« يقول الله : أنا الرحمن خلقت الرُحْم وشققت لها من اسمي . »(١)

ومعناها الاصطلاحي :

أخذ لفظ من آخر مع تناسب بينهما في المعنى وتغيير في اللفظ يضيف زيادة على المعنى الأصلي ، وهذه الزيادة هي سبب الاشتقاق .



انواعه

حصروه في أنواع أَربعة : صغير ، وكبير ، وأكبر ، وكُبّار .

---

(١) المزهر للسيوطي ١/٣٤٦

https://archive.org/details/@user082170

١ — الاشتقاق الصغير أو الاصغر :

وهو المراد حين يطلق لفظ الاشتقاق مثل كلمتي (عالم ، ومعلوم)من (العلم) . ويتفق هنا المشتق والمشتق منه في الأحرف الأصلية وفي ترتيبها . وأفراد هذا الاشتقاق عشرة : الفعل الماضي ، والفعل المضارع ، وفعل الأمر ، واسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة باسم الفاعل ، واسم التفضيل ، واسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة .

وأمرها جميعاً من حيث قواعد الاشتقاق معروفة للجميع فلا نعرض لها هنا بشيء .

٢ — الإشتقاق الكبير :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الاصلية دون ترتيبها مثل : حمد ومدح ، وجبذ وجذب ، وكلم ولكم .

وسنعرض له بشيء من البيان .

٣ — الاشتقاق الأكبر :

أن يكون بين الكلمتين تناسب في المعنى واتفاق في الأحرف الثابتة وتناسب في مخرج الأحرف المغيّرة ، مثل: نهق ونعق، وعنوان وعلوان.

لكن تتبعات اللغويين هدت إلى عدم لزوم هذا القيد (تناسب المخارج) كما يظهر لك من الزمر الآتية :

أ — صرير البكرة وصريفها — الخَرْق والخَرْب (كل ثقب

https://archive.org/details/@user082170

مستدير والخرب ثقب الأذن) ـ هديل وهدير .

ب — الحرف المضعف مع آخر : كدّ وكدح ، رصّ ورصف ، زحّ وزحل ، رجّ ورجف ، ضمّ وضمد ، ردّ وردع .

حـ — الناقص مع حرف آخر : رسا ورسب ، سما وسمق ، زجا وزجر هذى وهذر ، محا ومحق ، احتفى واحتفل ، دهدى ودهده ، أسى وأسف ، رخا ورخص ، الحجى والحْجر ، هباء وهباب .

د — المضعف يحول ناقصاً : ربّ وربا ، طمّ وطمى ، تمّطط وتمّطى ، تقضقض وتقضَّى ، تظنّن وتظنّى .

هـ — المضعف يحول أجوف : ضرّ وضار ، كعَّ وكاع [١] .. الخ .

ومن المحدثين من حذا حذو ابن جني الذي سيأتي بيانه بعد في الكلام على الاشتقاق الكبير ، فاستقرى بعض الكلم التي تشترك في الحرفين الأولين فوجد فيها كلها معنى مشتركا ، ولو تيسر له مواصلة استقرائه لطلع علينا ـ فيما أقدر ـ بنظرية تؤيد القائلين اليوم بأن الأصل في الكلمات العربية ثنائي لا ثلاثي ، قال :

« والذي يتقرى كلم اللغة العربية بإنعام نظر يجد أن لمعظم موادها أَصلاً يرجع إِليه كثير من كلماته إن لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (فل)

---

(١) كتاب الاشتقاق والتعريب للمغربي

https://archive.org/details/@user082170

وما يثلثها تجد الجميع يدور حول معنى الشق والفتح مثل : فلح ، فلج ، فلع فلق ، فلذ ، فلى . ومثل ذلك مادة (قط) وما يثلثها تقول : قطّ ، قطع قطر ، قطف ، قطن .. وكلها بمعنى الانفصال . » [١]

وإليك مثلاً آخر لمحدث أيضاً :

الهمزة والباء مدلولهما النفور والبعد والانفصال بين الشيئين :

أبّ للسير : تهيأ له . أبز الظبي : وثب وانطلق .

أبِت اليوم : اشتد حره فقطع الناس أبق العبد : نفر عن مولاه .

عن أعمالهم . أبل : توحش .

أبد الوحش : نفر . أبه عن الشيء : تنزه عنه .

أبر النخل : قطع منها شيئاً . أبى عن الضيم : فر عنه . [٢]

ولأمر ماجرى صاحب (المصباح المنير) في أبواب معجمه على أن يقول مثلاً (الهمزة والباء وما يثلثهما) ... هكذا إلى آخر الأبواب ، فهل كان يشير إلى أن وراء كل أصلين معنى مشتركاً يكمن في كل ماتفرع منهما من كلم ؟ وإذاً تكون نظرية (المعجمية الثنائية) التي يشيد بها بعض المعاصرين قد فطن اليها لغويو العرب ومروا بها غير متلبثين لقلة جدواها العملية .

---

(١) المرحوم الاستاذ طه الراوي : مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣/٢٢٠

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢/٢٤٥

https://archive.org/details/@user082170

٤ — الاشتقاق الكُبّار :

زاده بعضهم (١) مطلقاً إياه على مايسمى بالنحت ، فجعل منه : (عبشمي من : عبد شمس) و (حولق من : لاحول ولا قوة الا بالله) ، ومراعاة معنى الاشتقاق تنصر جعل النحت نوعاً منه ، وإن فضل المتمسكون بالاصطلاح الفني إفراده من الاشتقاق .

وهذا النحت ذو أنواع أربعة :

١ — فعلي : ينحت من الجملة دلالة على النطق بها أو حدوث مضمونها فأمثلة الحالة الأولى : بأبأ = قال : بأبي أنت ، جَعْفل = قال : جعلت فداك ، سبْحل = قال : سبحان الله ، دمعز = قال : أدام الله عزك ، سمْعل = قال : السلام عليكم ، فذْلك = قال : فذلك .. الخ

ومثال الحالة الثانية : بعثر = بعث وأثار ،

٢ — وصفي : ينحت من كلمتين دلالة على صفة بمعناهما أو أشد منه : ضَبْطر : من الضبط والضبر (الاكتناز) ، صلْدم (شديد الحافر) : من الصلْد والصدم ، صهْصَلِق : من الصهيل والصلق .. الخ .

٣ — اسمي : ينحت من اسمين جامعاً بين معنييهما :

جلمود : جلد + جمد ، حبْقُر (بمعنى البرَد) = حبّ قُرّ ، عقابيل (بقايا العلة في الجسد) = عقبي الحمى وعقبى العلة .. الخ . وهي كلمة لا مفرد لها .

---

(١) انظر مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١/٢٨٣ : بحث الاستاذ عبد الله أمين

https://archive.org/details/@user082170

٤ ـ نسبي : ينحت نسبة إِلى علمين :

طبرخزي : نسبة إِلى طبرستان وخوارزم ، شفعنتي : نسبة إِلى الشافعي وأبي حنيفة (١)

وسمع عن العرب : عبشمي : نسبة إِلى عبدشمس ، عبدري : نسبة إِلى عبدالدار ، مرقسي : نسبة إِلى امرىء القيس ، تيملي إِلى تيم اللات .. الخ .

. . .

هذا ويتعلق النوع الأول من الاشتقاق بعلم الصرف ، أَما الأنواع الأربعة الباقية فتتعلق ببحوث اللغة .

وسنعرض بشيء من الافاضة إِلى الاشتقاق الكبير خاصة لشأنه المرموق دون بقية الأنواع .

في الاشتقاق الكبير

إِذا قلبت فعلاً ثلاثياً على أوجهه الستة ، فأنت واجد بين معانيها قدراً تشترك فيه الكلمات المستعملة منها ؛ فكأن هذا القدر هو المعنى الأساسي لها جميعاً ، ثم تنفرد كل منها بمعنى ليس في سائرها ، وهذه حال تشبه حال المشتقات مع المصدر في الاشتقاق الأصغر .

---

(١) الاشتقاق والتعريب

https://archive.org/details/@user082170

مؤسس هذه (النظرية) ومبدعها وواضع اصطلاحها الفيلسوف اللغوي ابن جني أحد الأئمة الأعلام في المئة الرابعة الهجرية ، فقد صرح في كتابه الخصائص في (باب الاشتقاق الأكبر)(١) بما يلي :

« هذا موضع لم يسمه أحد من أصحابنا ، غير أن أبا علي (الفارسي) رحمه الله كان يستعين به ويخلد اليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر ، لكنه مع هذا لم يسمه(٢) وإنما كان يعتاده ويستروح إليه ويتعلل به ، وإنما هذا التلقيب لنا نحن وستراه فتعلم أنه لقب مستحسن، وذلك أن الاشتقاق عندي على ضربين : كبير وصغير ، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم : كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه ،

---

(١) ٥٢٥/١ . « وهو البحث الذي لايزال يؤتي ثمره الى اليوم ، والذي يختص بمادة الكلمة دون هيئتها ، ولم يكن لعلماء اللغة من العرب إنتاج أعظم من هـذا » — آدم متز في كتابه(الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ٣٣٠/١ الطبعة الثانية سنة ١٩٤٧

هذا ويريد ابن جنى بـ (الاشتقاق الأكبر) ما اصطلحنا في تقسيمنا على تسميته بـ (الكبير) كما تقدم آنفاً فتنبه إلى ذلك .

(٢) قلت : في الفهرست لابن النديم ص ٩٥ (المطبعة الرحمانية بمصر) أن للرماني كتاب :(الاشتقاق الصغير) وكتاب(الاشتقاق الكبير) ؛ والرماني من أتراب الفارسي وأقرانه ، فلعل ابن جني لم يطلع على كتابيه هذين . توفي الرماني سنة (٣٨٤) وهو ممن كان يمزج النحو بالمنطق، حتى كان الفارسي يقول : « إن كان النحو مايقوله الرماني فليس معنا منه شيء ، وإن كان مانقوله نحن فليس معه منه شيء » .

https://archive.org/details/@user082170

وذلك كتركيب (س ل م) فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه نحو: سلم ويسلم وسالم وسلمان وسلمى والسلامة والسليم..

وأما الاشتقاق الاكبر فأن تأخذ أَصلاً من الأُصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً تجتمع التراكيب الستة ومايتصرف من كل واحد منها عليه، وإِن تباعد شيء من ذلك رد بلطف الصنعة والتأويل إِليه، كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد، ثم مضى ابن جني يضرب الامثلة على قاعدته وإِليك نمطاً منها:

مادة (ق و ل) في جميع تراكيبها الستة تدل على الاسراع والحركة:

ق و ل: وهو القول وذلك ان الفم واللسان يخفان له ... وهو بضد السكوت الذي هو داعية الى السكون.

ق ل و: القِلْو حمار الوحش وذلك لخفته وإِسراعه، ومنه (قلوت البسر والسويق) وذلك لأن الشيء إِذا قلي جف وخف، وكان أَسرع الى الحركة وألطف.

و ق ل: الوَقْل للوعل وذلك لحركته، توقّل في الجبل إِذا صعد فيه وذلك لا يكون الا مع الحركة والاعمال.

و ل ق: ولق يلق إِذا أَسرع.

ل و ق: في الحديث (لا آكل من الطعام إلاما لُوّق لي) اي ماخدم وأعملت اليد في تحريكه، ومنه اللوقة: الزبدة وذلك لخفتها وإِسراع حركتها وأَنها ليست لها مسكة الجبن.

https://archive.org/details/@user082170

ل ق و : اللَقْوة للعُقاب ، قيل لها ذلك لخفتها وسرعة طيرانها[١] .

وقد احتذى المتأخرون حذو ابن جني فقدموا لنا أمثلة كثيرة على منواله ، وبعضهم انحرف في تطبيقها فأتى بجديد كما رأيت في صنيع الاستاذ طه الراوي رحمه الله وغيره . وإليك مثالاً آخر :

انظر تقاليب مادة (ن ج د) تجدها كلها تفيد القوة فهي المعنى المشترك لها :

فـ النجد : الشجاع ، وما ارتفع من الأرض ، والنجدة القتال ، والنجدة الفزع ؛ وفي كل ذلك قوة .

و الجند : بهم تكون القوة .

والَجدَن : حسن الصوت وهو قوة ، وأجدن استغنى بعد فقر ؛ وفي الاستغناء قوة .

والدِناج : إحكام الأمر وهو قوة .

والدجن : المطر الكثير وفيه قوة .

والدجنة : الظلمة والظلمة ترهب ففيها قوة[٢] .

على أن هذه النظرة العميقة مكنت الاشتقاقيين « من رد الكلمات التي اشتركت في معنى واحد بعضها الى بعض بالقلب والابدال ، وأطلعهم على سر تولد اللغة ونموها »

---

(١) الخصائص ١/٤ ــ ١٠ وقد فعل مثل ذلك بمادة (ك ل م) ص ١٢ ــ ١٥ فانظرها ثمة بانعام .

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ٢/٢٠٠

https://archive.org/details/@user082170

ولم يعدم هذا المذهب مبالغين فيه حملتهم قلة بضاعتهم وسوء بصارتهم على أن يخرجوا الى غير الاعتدال ، فقد حكى السيوطي في (المزهر) [١] أن أحدهم سئل : « من أي شيء اشتق الجرجير ؟ » فقال : « لأن الريح تجرجره ... ومن هذا قيل للحبل الجرير لأنه يجر على الأرض » قال : « والجرة لم سميت جرة ؟ » قال : « لأنها تجر على الأرض » فقال « لو جرت على الأرض لانكسرت »، « فالمجرة لم سميت مجرة ؟ » قال : « لأن الله جرها في السماء جرا » قال : « فالجرجور الذي هو اسم المئة من الابل لم سميت به ؟ » فقال : « لأنها تجر بالأزمة وتقاد » .. الخ

وقال آخر انما سمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض ..

وركب هذا الهتر بعض العصريين فأولع برد الكلمات الأعجمية الى العربية ،حتى إن بعضهم سئل عن [٢] (البنجرة) وهي الشباك بالتركية ، فقال إنها من (فنجر الرجل) إذا فتح عينيه والنافذة في الجدار فتحته .[٢]

(٣)

مصدر المشتقات

ليست هذه المسألة موضع اتفاق بين البصريين والكوفيين ، فالأولون يذهبون إلى أن المصدر أصل الفعل ، والكوفيون يرون أن

---

(١) الجزء ١/٣٥٤

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ١٣/٢٢٠ . ثم اتخذ بعض الظراف الدعابة مركباً في هذا الباب، فذهب يرد كثيراً من الكلمات الأجنبية الى العربية : تعريضاً بالمتقعرين ، فيقول مثلا أصل (الالكتريك) : آلة تريك ، وأصل المادة الهاضمة (الكاربونات): (الكرب نط) .. الخ .

https://archive.org/details/@user082170

المصدر مشتق من الفعل وفرع عليه ، وللفريقين أدلة وردود سردها ابن الأنباري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف) في المسألة الثامنة والعشرين (١/١٤٤ — ١٥٢) وكان قد أفردها في تأليف مستقل .

فمن أدلة الكوفيين : أن المصدر لا يتصور معناه مالم يكن له فعل فاعل، فينبغي أن يكون الفعل الذي يعرف به المصدر أصلاً للمصدر ،

وأن المصدر يذكر توكيداً للفعل ورتبة التوكيد بعد رتبة المؤكد ،

وأنا نجد أفعالاً لا مصادر لها مثل : نعم ، بئس ، عسى ، ليس ..الخ

ومن أَدلة البصريين: أَن المصدر يدل على مطلق الزمان لا اختصاص له بزمان دون زمان ، فلما احتاجوا إلى الدلالة على زمن محدد اشتقوا منه الفعل ليدل على الحدوث والظرف معاً ،

وأَنه لو كان مشتقاً من الفعل لكان يجب أَن يجري على سنن في القياس : كاشتقاق الأفعال وأَسماء الفاعلين ..

وأَنه لو كان مشتقاً من الفعل لوجب أن يدل على مافي الفعل من الحدث والزمان وعلى معنى ثالث هو سبب الاشتقاق ، كما دل اسم الفاعل مثلاً على معنى الفعل (الحدث والزمن) وعلى الذات الفاعلة .. الخ ... الى أَدلة كثيرة صناعية لكل من الفريقين . يجد المدقق فيها كلها اجتهاداً في النظر ووجهاً من الحق .

ومن الباحثين المحدثين من دعم رأي الكوفيين وعممه على كل اللغات

https://archive.org/details/@user082170

السامية، ذاهباً إلى أن القائلين بأن المصدر أصل الاشتقاق متأثرون بعقليتهم الفارسية قال إسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية سابقاً:

« وقد رأى بعض علماء اللغة العربية أن المصدر الاسمى هو الأصل الذي يشتق منه أصل كل الكلمات والصيغ؛ ولكن هذا الرأي خطأ -في رأينا- لأنه يجعل أصل الاشتقاق مخالفاً لأصله في جميع أخواتها السامية.

وقد تسرب هذا الرأي إلى هؤلاء العلماء من الفرس الذين بحثوا في اللغة العربية بعقليتهم الآرية، والأصل في الاشتقاق عند الآريين أن يكون من مصدر اسمي، أما في اللغات السامية فالفعل هو كل شيء، فمنه تتكون الجملة ولم يخضع الفعل للاسم والضمير، بل نجد الضمير مسنداً إلى الفعل ومرتبطاً به ارتباطاً وثيقاً »[١].

ثم ذكر هذا المستشرق اليهودي ان هذه نظريته الخاصة إذ لم يشر اليها أحد من علماء الافرنج. ومع رغبته في أن يعم بنظريته هذه اللغة العربية ولغته العبرية يجدر بالمتأمل الوقوف وعدم القطع بما لم يقم عليه البرهان الساطع، فما أكثر الظواهر التي خالفت فيها العربية أخواتها الساميات.

وربما ذهب إلى تأييد نظرة الكوفيين غيره من الباحثين المحدثين،

---

(١) تاريخ اللغات السامية ص ١٤ (لجنة التأليف والترجمة والنشر - الطبعة الأولى ١٩٢٩)

https://archive.org/details/@user082170

والمسألة بعدُ نظرية صرف لم يقم فيها دليل حاسم ، ولا لنا منها اليوم جدوى عملية .

. . .

وأَي كان فالذي نميل اليه الآن هو أَنه إذا كان في المشتق زيادة معنى على المشتق منه، وكان البسيط مقدماً على المركب - وذلك مسلم عند الفريقين - فأصل المشتقات كلها - صناعةً - المصدر لا الفعل ، لأن المصدر يدل على حدث والفعل يدل على حدث وزمن ، والاسماء المشتقة تدل على حدث وزمن مع زيادة ثالثة كالدلالة على الفاعل أو المفعول أو التفضيل أو المكان. فهذه الكثرة من المشتقات التي جعلت للغة سعتها ومرانتها أَخذت من المصادر التي هي جميعاً أَسماء معان .

على أَن العرب لم تحجم أَحياناً عن الاشتقاق من غير المصادر ، فاشتقت من أَسماء معان ومن ذوات حسية ومن أَسماء الازمنة والأمكنة ومن أسماء الأصوات ومن الحروف ، وإليك البيان[١] :

١ - عمدوا إلى الأعداد وهي أسماء معان جامدة فقالوا : وحُد وتوحّد : بقي وحده ، وثنيته تثنية جعلته اثنين ، وثلثتهم جعلتهم ثلاثة ، وربعتهم وخمستهم .. إلى (عشرتهم) ، وفي المخصص : « كانوا تسعة وعشرين فثلثتهم : أَي صرت لهم تمام ثلاثين ، وكذلك جميع العقود إلى المئة ،

(١) عن مجلة مجمع اللغة العربية الملكي ١/٣٨٥ فما بعد، باختصار وتصرف

فإذا بلغت المئة قلت : « كانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم ، وكانوا تسعمائة وتسعة وتسعين فآلفتهم . »

٢ — واشتقوا من أسماء الازمنة وهي ايضاً أسماء معان جامدة ، اشتقاقاً صريحاً يكاد يكون مطرداً ، ففي اللسان : أخرف القوم : دخلوا في الخريف ، وشتوت بموضع كذا وتشتيت : أقمت به في الشتاء ،وأربعوا دخلوا في الربيع ، وتربعوا الموضع : أقاموا فيه بالربيع ، وأصافوا : دخلوا في الصيف وصافوا بمكان كذا ،وأفجروا دخلوا في الفجر ، ومثلها : أصبحوا ، وأشرقوا : دخلوا في وقت الشروق ، وأظهروا وأعصروا وآصلوا ، وفي الحديث : (كان في سفر فاعتشى في أول الليل أي سار وقت العشاء) واستحروا وابتكروا . وساوعه : استأجره الساعة أو عامله بها ، وأليلوا .. الخ .

٣ — واشتقوا من اسماء الذوات كأعضاء الانسان ، فقالوا أذنه ورآه وسره ، أي ضرب أذنه ورئته وسرته .. الخ وتأبط الشيء وضعه تحت أبطه . . ومن غير أعضاء الانسان قالوا : أبرته العقرب : لسعته بأبرتها ، وأبّل الرجلُ : كثرت إبله ، وأزرته : ألبسته إزارا ، واستأسد وأسد : صار كالأسد .. الخ .

وقالوا : أورق الشجر ، وعقرب الصدغ ، وفلفل الطعامَ الخ ومن الشجر قالوا:شجرت فلاناً بالرمح تأويله :جعلته فيه كالغصن في الشجرة[١]

(١) المزهر ٣٥١/١ .

٤ — واشتقوا من أسماء الأصوات حتى لقد ذكر ابن جني أنه « ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات كدوي الريح وحنين الرعد وخرير المياه ، ونعيق الغراب وصهيل الفرس... ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبل » (١).

وأصل حكاية الأصوات في اللغة العربية على حرفين مثل (طَقْ ، قَب) أو ثلاثة أوسطها لين مثل (غاق) ومنها اشتقت الأفعال. فكلمة (صَلْ) يحكى بها صوت شيء يابس إذا تحرك والفعل المشتق منه (صلّ) ، فإن تكرر قالوا (صلصل)، قالوا : صلّ اللجام إذا صوت. فإذا تكرر قلت : صلصل ، وسمي الطين اليابس (صلصالاً) لذلك . وكلمة (جِيءْ جِيءْ) دعاء الابل للشرب فاشتقوا منه فعلاً فقالوا : « جأجأ بالابل » إذا دعاها للشراب ، وقال الراجز :

وما كان على الهِيء ولا الجِيء امتداحيكا

اي على الطعام والشراب

ودعاء المعز بكلمة (عا ، عا) فجعل الراجز لاسم الصوت هذا فعلاً ومصدراً فقال :

ياعنز هذا شجر وماءُ عاعيْت لو ينفعني العيعاء

وآخر الأمثلة التي نقدمها كلمة (صخْ) وهي حكاية صوت حادث

(١) الخصائص ١/٤٤

https://archive.org/details/@user082170

من ضرب صخرة بصخرة ، فاشتق العرب منها فعل (صخّ) واستعملوا كلمة (الصاخّة) وهي الصيحة تصخ الاسماع ، واشتقوا : أصاخ بمعنى استمع للصوت ، وربما كان اسم (الصخر) نفسه مشتقاً من اسم صوته ، ثم اشتقوا منه فقالوا : أمكان مصخر كثير الصخر . وربما كان منه (صرخ) و (صخب) و (صخْد) وهو صوت الصرد . وقريب منه الصماخ للأذن لأنه جزء من أَداة السمع . وجميل ماذكره بعض المحدثين [1] من جعلهم بعض الحروف

---

(١) احمد امين بك في محاضرة له في (القياس) بمجمع اللغة العربية الملكي في دورة ١٩٤٩ وقال عقب ذلك : « وعند تحري هذا الباب نراهم يحاكون أولاً صوت المسموع بالأذن ، ثم ينقلونه الى المبصر بالعين ، ثم ينقلونه الى المحسوس بباقي الحواس الخارجية ، ثم إلى المعقول بالعقل ، فمثلاً لو نظرنا الى كلمة (حس) وتتبعناها وجدنا أن المصدر الاصلي لـ (حس) كان صوتاً سينياً تخيلوا أنه يسمع عند الحس أي عند المس باليد ، ثم انتقلوا من الاحساس باليد الى الاحساس بغيرها فسموا كل مايشعر به محسوساً وسموا الآلات التي يحس بها حواس ، ثم أطلقوها على العلم الحادث من الحواس ، وعلى اليقين الحاصل من العلم بها ، واشتقوا أحس بالشيء إذا أدركه بحاسته ، ونقلوه إلى أحسست بالشيء أي أيقنت به . ثم نوعوا هذا الصوت السيني فجعلوه مرة (حساً) ومرة (لمساً) ومرة (مساً) .. وتارة يلحظون ما بين الحرف والمعنى من مناسبة فيلحظون في الحاء آخر الكلمة دلالة على الاتساع والانتشار : (ساح ، باح ، صاح ، شرح ، مرح) ، والكلمة المبدوءة بالشين على التشتت والتفرق مثل (شن ، شطر ، شعث ، شع) .. والمبدوءة بالغين على الغموض : (غمض ، غاب ، غبش ، غار ، غطس ، غم .. »

https://archive.org/details/@user082170

اساساً في كلمات عدة يلاحظ صوته في معانيها جميعا : كالنون في الطن والرن والغن، والقاف في الطرق والشق والدق .

٥ — واشتقوا من حروف المعاني أفعالاً ومصادر فقالوا : أَنعم الرجل قال نعم ، سوّف الحاجة : إذا ماطل وقال مرة بعد مرة: سوف أقضيها ، وقالوا :(سألتك حاجة فلوليت لي : قلت لي لولا) ، [١] وقالوا : لالى الرجل : قال : لا ، وقالوا : لوى الكاتب لاء جيدة ، وقالوا: موّى إذا كتب (ما) ، وكوّف كافاً حسنة ،ودلّى دالا جيدة وزوّى زاياً قوية [٢] .

٦ — بل كان الاشتقاق عندهم كالعصارة المعدية تخالط كل غذاء فتهضمه و (تمثله) للجسم متحولاً إلى جنس دمه ، فقد صبت هذه العصارة على الأسماء الأعجمية ومازالت بها حتى لينتها للعربية وطوعتها فاشتقت منها، قال أبو علي الفارسي :

« إن العرب اشتقت من الأعجمي النكرة كما تشتق من أصول كلامها ، قال رؤبة :

هل ينجيني خلِف سِخْتيت أو فضة أو ذهب كبريت [٣]

---

(١) الخصائص ١/٤٣٦

(٢) انظر الخصائص ١/٢٨٣

(٣) الخلف جمع خلفة وهي الناقة الحامل .

وفي اللسان : هل ينجيني كذب سختيت . والسختيت : الصلب الشديد ، اصله فارسي ، والدقيق الحوارى ، والغبار الشديد الارتفاع

https://archive.org/details/@user082170

« فسَخْتيت من السَخت كزِحليل من الزحل . » وحكى أيضاً عن ابن الاعرابي « يقال دَرْهمت الخُبازى أي صارت كالدراهم فاشتق من الدرهم وهو اسم أعجمي »[١]

« ومما اشتقه العرب من كلام العجم ما أنشدناه من قول الراجز : »

هل تعرف الدار لأم الخزرج منها فظلْتُ اليوم كالمزرَّج

أي الذي شرب الزرجون وهي الخمر ، فاشتق المزرج من الزرجون[٢]

أَما (زنديق ، ودينار ، وديوان ، ولجام ، ومهرجان ... الخ). فأشهر من أن يجهلها أحد ، فقد عربتها العرب وأَكثرت من استعمالها حتى ظُن أَنها عربية صرف ، واشتقوا منها أَفعالاً ومصادر وصفات فقالوا : زندقة تزندق ، ومدنر ، ودوَّن تدويناً ، ومهرجونا كل يوم .. الخ .[٣]

(٤)

احكام تتعلق بالاشتقاق

المحقق وغيره — المطرد وغيره — اركان الاشتقاق — تغييراته — ما يمتنع على الاشتقاق — كتبه .

الاشتقاق المحقق وغير المحقق

الاشتقاق المحقق : أَن تظهر الدلالة على المعنى المراد بالاشتقاق ، مثل اشتقاق (عالم) من (العلم) .

---

(١) الخصائص ١/٣٦٣

(٢) الخصائص ١/٣٦٤

(٣) قالها علي بن ابي طالب لما قدم إليه حلوى يوم المهرجان ، ولما قدمت إليه حلوى يوم النيروز قال : « نيرزونا كل يوم » – تاج العروس ، مادة (نرز)

https://archive.org/details/@user082170

وهو ثلاثة أَنواع :

الأول — المفرد : وهو الاشتقاق الذي لايعارضه اشتقاق آخر كـ (ضارب) من (الضرب) .

الثاني — الراجح : وهو الاشتقاق الذي يعارضه اشتقاق آخر ، ولكن الأول أرجح ؛ وذلك مثل كلمة (الموسى) :

قيل : هي (مُفْعَل) من أَوسى بمعنى حلق ، وقيل هي (فُعْلى) من ماس بمعنى تبختر (وقيل من رجل ماسٍ أي خفيف طيَّاش) ؛ إلا أَن كونها من (أوسى) أرجح من (ماس) ، لأن (مُفْعل) في كلامهم أَكثر من (فُعْلى) ، وهو أَقيس لأن (مُفْعل) يشتق من كل (أَفْعَلَ) ، أَما (فعلى) فليس كذلك ؛ ولأن مفعل منصرف و (فعلى) غير منصرف .

الثالث — الواضح ، وهو الذي يعارضه اشتقاق آخر بلا ترجيح ، مثاله كلمة (الأولق) قيل هي من ألِق بمعنى (جُن) فهي (فَوْعل) ، وقيل هي (أفعل) من (الولَق) وهو السرعة ، ولا مرجح لأحدهما (١) .

والاشتقاق غير المحقق أن تكون فيه شبهة اشتقاق فلا يكون اللفظ دالاً

---

(١) ابن جني يجعلها فوعلاً على كل حال (أصلها وولق) ثم قلبت

https://archive.org/details/@user082170

على المعنى المراد ، فكلمة (هِجْرِع) للرجل الطويل ، قيل إنها من (الجرع : وهو السهل الطويل) .

المطرد وغيره :

الاشتقاق المطرد عشرة أنواع : الأفعال الثلاثة ، والاسماء المشتقة السبعة (اسم الفاعل واسم المفعول ، والصفة المشبهة أحياناً ، واسم الزمان واسم المكان واسم التفضيل واسم الآلة) . وبقية المشتقات غير مطردة كالتي مرت بك وكـ (القارورة) للزجاجة التي يقر فيها الماء .

أركانه : لابد في الاشتقاق من أركان أربعة : ١ ـ المشتق ٢ ـ المشتق منه ٣ ـ تشاركهما في المعاني والحروف . ٤ ـ أن يكون بينهما تغيير لفظاً مثل (طالب من الطلب) أو تقديراً مثل (طلَب من طلَبٍ) . ونعرف اشتقاق كلمة من أخرى بتقليبها على جميع الصيغ ، حتى نرجع إلى صيغة توجد في جميع تصاريفها ، فكلمة (عالم) ليست مشتقة من معلوم لنقص بعض الحروف منها .

تغييراته : رد السيوطي تغييرات الاشتقاق إلى خمسة عشر :

١ — زيادة حركة : عِلم و علْم .

٢ — زيادة مادة : طالب و طلب .

٣ — زيادتهما : ضارِب و ضرْب .

٤ — نقصان حركة : الفرْس والفرَس .

https://archive.org/details/@user082170

٥ — نقصان مادة : ثَبت و ثبات .

٦ — نقصانهما : نزا و نزوان .

٧ — نقصان حركة وزيادة مادة كـ غضي و غضَب .

٨ — نقصان مادة وزيادة حركة كـ حرم و حرْمان .

٩ — زيادتهما مع نقصانهما كـ استنوق و الناقة .

١٠ — تغاير الحركتين كـ بطِر و بطَراً .

١١ — نقصان حركة وزيادة حركة وحرف كـ اضرب من الضربُ .

١٢ — نقصان مادة وزيادة أخرى كـ راضع من الرضاعة .

١٣ — نقصان مادة وزيادة أخرى وحركة كـ خاف من الخوف .

١٤ — نقصان حركة وحرف وزيادة حركة فقط كـ (عِدْ) من (الوعد) : فيه نقصان الواو وحركتها ، وزيادة كسرة العين .

١٥ — نقصان حركة وحرف وزيادة حرف كـ (افخر) من (الفَخار) نقصت الف وفتحة وزادت الف (١) .

الممنوع من الاشتقاق :

قالوا : لا يدخل الاشتقاق ستة أشياء :

---

(١) المزهر ١/٣٤٨ هذا والذي في الأصل كـ (فاخر) من الفخار نقصت ألف وزادت ألف وفتحة ، ولم تظهر لنا صحته فرجحنا ما أثبتناه ، لأنه هو المثل الذي يطابق الوصف المذكور .

https://archive.org/details/@user082170

١ — الاسماء الاعجمية .

٢ — أسماء الاصوات .

٣ — الاسماء المتوغلة في الابهام مثل (من ، ما ، مهما) وما شابهها .

٤ — الالفاظ النادرة مثل : طوبى .

٥ — الاسماء التي لها معان متقابلة كـ (الجَوْن) فهو الابيض والاسود وكذا سائر أسماء الاضداد .

٦ — الحروف .

وما ورد من ذلك فهو نادر مقصور على السماع — ا هـ .

وقد عرفت مما تقدم لك أنهم لم يقتصروا على السماع ، فاشْتقوا من الحروف والاسماء الاعجمية وأسماء الاصوات وغيرها .

كتب الاشتقاق :

قال السيوطي :

« أفرد الاشتقاق بالتأليف جماعة من المتقدمين : منهم الاصمعي ، وقطرب ، وأَبو الحسن الاخفش ، وأَبو نصر الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، والنحاس ، وابن خالويه »[1] — ا هـ .

وقلما نجد أحداً من أعلام العربية ممن يذكر في فهرست

---

(١) المزهر ٣٥١/١

ابن النـديم أو غيره من كتب الطبقات إلا عالج هذا الموضوع ، إن لم يكن في كتاب مستقل ففي ضمن بحث آخر . وعاد إلى طرقه في هذا العصر المشتغلون باللغة في مناسبات شتى في الصحف والمجلات العلمية. من هؤلاء الشيخ عبد القادر المغربي فقد أخرج كتابه (الاشتقاق والتعريب) قبل اكثر من أربعين سنة(١) .

(٦)

خاتمة

إذا صح أن ولد إسماعيل لم يزالوا « على مر الزمان يشتقون الكلام بعضه من بعض ، ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها »(٢) فالذي لا شك فيه أننا لم نجار هؤلاء العرب الأولين في عملهم ، ولعل في تحجير علماء العربية الأقدمين عاملاً هاماً في صدأ هذه الآلة الخيّرة : الاشتقاق .

كل من يتصفح معاجم اللغة يعرف بعد شيء من الممارسة ، أن مواد اللغة فيها ناقصة ، فلسنا نجد في مادة ما كل الصيغ المجردة والمزيدة في الأفعال والأسماء . وقد أحببت أن أورد لك مثالاً على ذلك مادة (الاشتقاق) نفسها ، فرجعت إلى هذه المادة في (لسان العرب) و (تاج العروس) وهما أكبر المعاجم المطبوعة على الإطلاق ، فوجدت فيهما من

---

(١) طبع سنة ١٩٠٨ وأعيد طبعه سنة ١٩٤٧ .

(٢) ابن النديم في الفهرست ص ٧ (المطبعة الرحمانية بمصر)

https://archive.org/details/@user082170

هده المادة الصيغ الآتية وقد رتبتها لك مجردة فمزيدة :

الأفعال	الأسماء
شَقّ	شقاً
أشَقَّ النخلُ : طلعت أكمامه	شقٌ
شقّق الكلام	شِق ، المشقّ
شاقّ	
شقشق	الشقق : الطول
انشَقّ	الشُقّة
تشقّق	المشقة
اشتق	الشقة
تشاقّ الرجلان	الأشَقّ : الطويل
استشق بالجوالق : جزمه على أحد شقيه	الشقيق
	الشقيقة
	الشقوقة : طائر
	الشُقاق : شق في الجلد من داء
	الشقّاق : موضع
	الشِقْشِقة : للبعير

https://archive.org/details/@user082170

فإذا عارضنا ما وجدنا من هذه الأفعال بالأوزان التي جمعها الصرفيون للفعل ، وجدنا هذه المعاجم سكتت عن الصيغ الآتية :

من مزيد الثلاثي : اشْقَقّ ، اشْقاقّ ، اشقوّق ، اشقوقق .

من مزيد الرباعي : تشقشق ، اشْقَقَقّ ، اشقنقق .

ولئن كان حسنا اللغوي يميل إلى إهمال مثل (اشقوقق ، اشققّ) لثقلهما في النطق والسمع ، إن هذا الثقل أصاب هذه المادة خاصة لمكان القافين المتتاليتين .

أَما الأسماء فإذا نحن قابلناها مثلاً بما حشر لنا السيوطي في مزهره من أَوزان الاسماء والمصادر التي ذهب هو وغيره إلى قصرها على السماع وجدنا أَكثر من سبعين صيغة لم يرد عليها من مادة (شق) ولا كلمة من أَمثال (فَعُّول ، فَعْلال ، فُعلى ، أفعلان ، أَفَنْعل ، فُعاعيل ، فَعْلول ، فعليل ... إلخ)[1] .

إن هذه الصيغ ضربت عليها الأسداد حتى ماتت ، فلسنا نستعمل منها في لغتنا اليوم إلا قدراً ضئيلاً يستوي هو والعدم .

وما أَكثر ما نجد في دواوين اللغة وكتب القواعد مثل قولهم (ليس في العربية على وزن كذا إلا كلمتان أَو كذا كلمات) ، ولما قال بشار على هذا الوزن (الوَجلى والغزَلى) طعنوا عليه وقال الأخفش : « لم يسمع

---

(١) ارجع إليها مسرودة في المزهر ٢/٤٩—٦٩و٢/١١٧ — ١٥٦ .

من الوجل والغزل : (فَعلى) وإنما قاسهما بشار ؛ وليس هذا مما يقاس ، إنما يعمل فيه بالسماع »[١] .

فيحار المرء ويتساءل ؛ من جمع لهم العربية كلها في طبق فأحصوا كلمها عداً ثم حكموا متثبتين : « ليس في العربية من كذا إلا كذا » ؟ ولو قال قائلهم : « لا أعرف من كذا إلا كذا » لكان أقرب إلى النصفة وأصدق قيلا . هذا وهم جميعاً موقنون أنه ما وصل إلى الرواة من اللغة إلا أقلها ، ولم تدون المعاجم كل ما روت الرواة .

وأبعد في الغرابة مما تقدم أنهم نقلوا الحظر إلى الأوزان المطردة في الأفعال ، فذهبوا إلى أنه لا يشترط في كل مجرد أن تكون له كل الأوزان المزيدة ؛ وغالى الرماني منهم فضرب في حظره الرقم القياسي كما يقولون ، حين منع ما أجمعوا على قياسه ، وهو اشتقاق اسم المفعول من الثلاثي المتعدي ، فقال : « لا يقال من (نفع) اسم مفعول ! ! »[٢] .

وبعد ، فالاعتدال أن نشتق ما نحتاج اليه اليوم على أوزان العرب وأساليبها في تشقيق الصيغ دلالة على تنويع المعاني ، فإذا أردنا أن ندل على الثبوت مثلاً في صفة ما من مادة لم يرد فيها عن العرب صفة مشبهة اشتققنا منها (فعيلاً) ، إذ كانت (فعيل) اكثر الصيغ دوراناً في الصفات

---

(١) القياس في اللغة العربية ص ٥١

(٢) القياس في اللغة العربية ص ٦٤

https://archive.org/details/@user082170

المسموعة، وكذلك نفعل في مزيدات الافعال وصيغ الاسماء.

وقد خطا مجمع فؤاد الاول خطا مباركة في إطراده القياس، في المصادر والصفات، ورأيتَ نمطاً من قراراته في الاشتقاق آخر بحث القياس [١] فلا نعيد هنا منها شيئاً.

فإذا خطونا خطوة تالية فأبحنا للكتاب والشعراء اشتقاق المزيدات والصيغ كلها في الافعال والاسماء من كل مادة، بشرط الحاجة والتوفيق في الاشتقاق، ومراعاة المعنى الذي أرادته العرب من كل صيغة، إذا تم ذلك رجونا أَنْ يكون على أَيدي العبقريين من المطبوعين، استجابة اللغة العربية لكل المطالب الحضارية في حياتنا المادية والوجدانية.

لا بد إذن من إعادة النظر في باب الاشتقاق، والوقوف على استعداد اللغة العربية فيه، والإفادة من مرانتها وطواعيتها وكنوزها المعطلة، لتلبي حاجات عصرنا الحديث بل حاجات كل عصر؛ فنَطْرد من قواعده ما كان غير مُطْرد، ونكمل المواد الناقصة في المعاجم، ونشتق من الأعيان وغيرها كل ما تدعو اليه حاجة؛ فلا تزال لغتنا غنية بإمكانياتها، تنتظر إقدام المقدمين من الواقفين على مزاياها وأَسرارها بعد أَنْ طال بلاؤها من إحجام المحجمين أَحقاباً طوالا.

ومن ينعم النظر في هذه المشتقات التي أَوردناها من أَسماء المحسوسات

---

(١) انظر ص ٩١ فما بعد.

ومن أَسماء الأصوات والحروف . . . ، ويرد الفكر إلى القواعد التي وضعوها بين أَيدينا ، يجد العرب والعربية قد سبقا تلك القواعد أَشواطاً بعيدة جداً ؛ فقد أَفادوا من لغتهم أَضعاف ما يتصور القاعديون .

للغتنا غنى وافر وطبيعة مسعفة يحسدها عليهما كثير من اللغات ، فهي كنز يطلب من يكتشفه ويحسن استخدامه والافادة منه . وعلى أَن مجمع فؤاد الاول قد التفت قليلاً إِلى هذه الناحية ، لا تزال الشقة ـ كما قلت سابقاً ـ بعيدة بين همته وأَن يحسن الانتفاع بمزايا العربية حق الانتفاع .

https://archive.org/details/@user082170

الخلاف

بين نحاة البصرة والكوفة

https://archive.org/details/@user082170

الخلاف

لمحة تاريخية (مدرسة البصرة — مدرسة الكوفة) ٢ — نشأة الخلاف ٣ — الفروق بين المذهبين ٤ — أثر العصبية في الخلاف ٥ — كتب الخلاف ٦ — بعد المذهب البصري والمذهب الكوفي .

(١)

لمحة تاريخية (مدرسة البصرة — مدرسة الكوفة)

ما مضى لك بيانه من أحداث اللحن حمل القوم على الاجتهاد لحفظ العربية وتيسير تعلمها للأعاجم , فشرعوا يتكلمون في الإعراب وقواعده حتى تم لهم مع الزمن هذا الفن .والذي تجمع عليه المصادر أن النحو نشأ بالبصرة وبها نما واتسع وتكامل وتفلسف ، وأن رؤوسه بنزعتيه كلهم بصريون .

أول من أرسل في النحو كلاماً أبو الأسود الدؤلي ، وقيل إن علياً هو الذي ألقى على أبي الأسود شيئاً من أصول النحو ثم قال له : (انح هذا النحو) ، وقيل ان أول من تكلم فيه : نصر بن عاصم ، وقيل : عبد الرحمن بن هرمز ، وقيل لم يصل الينا شيء عن أحد قبل يحي بن يعمر وابن أبي اسحق الحضرمي . . الخ .

https://archive.org/details/@user082170

ومن يقرأ بامعان ترجمة أَبي الأسود في تاريخ دمشق لابن عساكر مثلاً ، ثم يفكر في توارد أَكثر المصادر على جعله واضع الأساس في بناء النحو لا يستبعد ذلك ، فالرجل ذو ذكاء نادر وجواب حاضر ، وبديهة نيرة ، ثم هو بعد بليغ أَريب مرن الذهن ، وحسبك اختراعه (الشكل)(١) الذي عرف بنقط أَبي الأسود للدلالة على الرفع والنصب والجر والتنوين ، وهو ما أجمعوا عليه قديماً ولم يشك فيه أَحد حديثاً . و (الشكل) أَعود على حفظ النصوص من حدود النحو ، ولعله أَعظم خدمة قدمت للعربية حتى الآن ، وكان الخطوة الأولى إلى النحو كما ذهب إليه الاستاذ أحمد أمين . (٢)

وليس يعنينا هنا تحرير هذه الأولية فذلك بتاريخ النحو أشبه ،

---

(١) اختار ابو الاسود كاتباً وامره ان يأخذ المصحف وصبغاً يخالف لون المداد وقال له : « اذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط نقطة فوقه على اعلاه ، فان ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وان كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فان أتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين » فهذا نقط ابي الاسود . — أخبار النحويين البصريين لابي سعيد السيرافي (ص ١٦) (المطبعة الكاثوليكية في بيروت) . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ١٠٩/٧ . والفهرست لابن النديم ص ٦٠

وهذا سبب اطلاق الفتح والكسر والضم على الحركات المعروفة فيما أرى ، اذ كان ابو الاسود اول من استعملها . اما السكون في هذا المصحف فعلامته التجرد من العلامة .

(٢) ضحى الاسلام ٢٨٧/٢

ورأيت مايدل على ان النحو عن ابي الاسود ماهذه حكايته: وهي اربع اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها : هذه فيها كلام في الفاعل والمفعول عن ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر وتحت هذا الخط بخط عتيق هذا خط علان النحوي ، وتحته : هذا خط النضر بن شميل .

ثم لما مات الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه، فما سمعنا له خبراً... على كثرة بحثي عنه.»(١)

فليسعنا من الاسف والحسرة على تعليقة أَبي الأسود ماوسع العلماء قبلنا بألف عام إذ كان لاسبيل إلى المعرفة الشافية .

أخذ عن أَبي الأسود : يحيى بن يعمر ، وعنبسة الفيل ، وميمون الأقرن ونصر بن عاصم ، وعن هؤلاء أَخذ علماء البصرة طبقة بعد طبقة، ثم نشأ بعد نحو مئة عام من تلاميذهم من ذهب إلى الكوفة فعلَّم بها ، فكان منه ومن تلاميذه ما يسمى بمدرسة الكوفه .

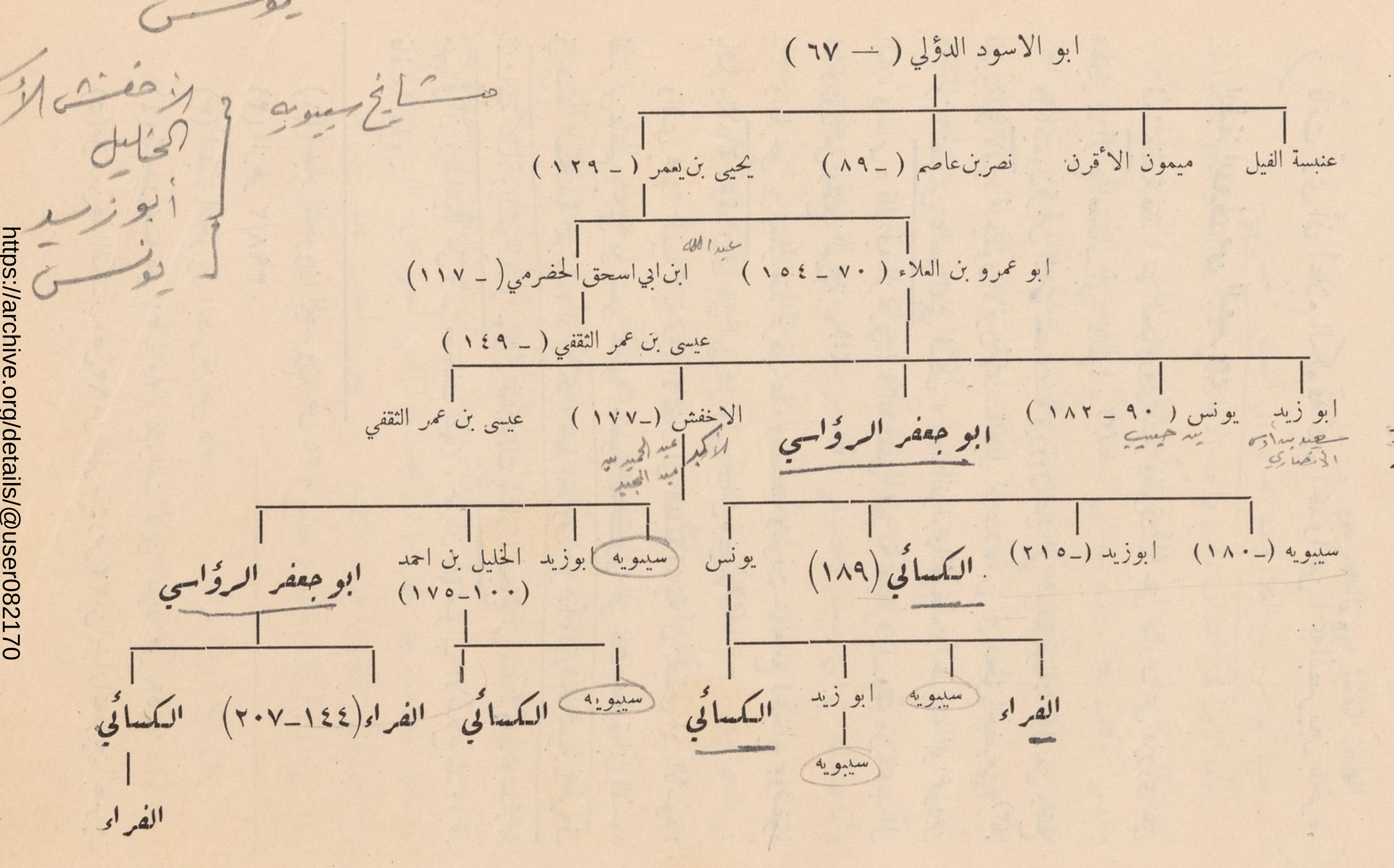
وهذا جدول(٢) يوضح لك تتابع هذه الطبقات إلى المئة الثالثة للهجرة:

---

(١) الفهرست ص ٦١

(٢) عن ضحى الاسلام ٢/٢٨٤ . وتكرر الاسم معناه تعدد مشايخ صاحبه ، اما الاعلام المدرجة اسماؤهم بخط رقعي فهم كوفيون ، والباقون بصريون .

https://archive.org/details/@user082170



https://archive.org/details/@user082170

ولكننا لا نرى بداً من أن نشير إلى أن اتفاقهم على أنه واضع (الشكل) أن شبه الاجماع على أنه أول من تكلم بالنحو ، وأن هؤلاء الذين تزعم لهم الأولية في بعض الأقوال : نصر بن عاصم ، ويحيي بن يعمر ، وعنبسة لفيل ، وميمون الأقرن . . . كلهم تلميذ أبي الأسود أو تلميذ تلميذه، عنه اخذوا العربية والقراءة بالبصرة ؛ كل أولئك مع ماعرف عن أبي الأسود من ذكاء وقاد ، وفكر متحرك ، وعقل وروية يجعلنا نقطع بأنه وضع أساساً بني عليه من بعده . ولكن ، ما هو هذا الأساس ؟

لسنا نجد لهذا السؤال جواباً يشفي الغليل ؛ فصحيفة أبي الأسود تعرف عند النحاة بـ (التعليقة) ، فإذا أردنا معرفة محتوياتها لم نحظ بما يطمأن إليه [١] ، بل فات معرفتها العلماء منذ المئة الرابعة مع شدة حرصهم عليها

---

(١) اما ابن الانباري فقد اطمأن الى خبر ذكره في اول كتابه (نزهة الالباء في طبقات الادباء ص ٥) حين روى ان علي بن ابي طالب دفع الى ابي الاسود رقعة فيها: « الكلام كله اسم وفعل وحرف ، فالاسم ماأنبأ عن المسمى ، والفعل ماانبيء به ، والحرف ماأفاد معنى . واعلم ان الاسماء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، واسم لاظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل الناس فيما ليس بظاهر ولا مضمر . . . » ثم يذكر ابن الانباري ان ابا الاسود وضع ابواب (العطف ، والنعت ، والتعجب ، والاستفهام) الى ان وصل الى باب إن واخواتها ماخلا لكن ؛ فلما عرضها على علي امره بضم لكن اليها ، وكلما وضع باباً من ابواب النحو عرضه عليه . » اه

ولست ادري هل ابقت امور الخلافة والحروب والفتن لعلي وقتاً يفرغ فيه =

https://archive.org/details/@user082170

فيروي ابن النديم خبراً طريفاً عن رجل جمّاعة للكتب له خزانة لم ير لأحد مثلها بما جمعت من خطوط العلماء الأولين ونوادر الكتب والرقاع فهي متحف كل ما فيه نادر ثمين ، قال الذي شاهدها :

« . . . ورأيت عنده امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء وابي عمرو الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم

= للتأليف في العلوم وتنقيحها واختراعها؟ ولعل الاستاذ احمد امين لم يكن بعيداً من الصواب حين روى هذا الخبر فعلق عليه بما يأتي :

« وكل هذا حديث خرافة فطبيعة زمن علي وابي الاسود تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية ، والعلم الذي ورد الينا من هـذا العصر في كل فرع علم يتناسب مع الفطرة ليس فيه تعريف ولا تقسيم ، انما هو تفسير آية او جمع لاحاديث ليس فيها ترتيب ولا تبويب ، فأما تعريف واما تقسيم منطقي فليس في شيء مما صح نقله الينا عن عصر علي وابي الاسود واخشى ان يكون ذلك من وضع بعض الشيعة الذين ارادوا ان ينسبوا كل شيء الى علي وأتباعه » ـــ ضحى الاسلام ٢ / ٢٨٥

وانا مع عدم استبعادي صدور كلام مثل هذا عن أبي الاسود بعد موت علي بسنين حين اعتزل العمل الرسمي وفرغ لمثل هذه الشؤون ، لاأطمئن الى ماروى ابن الانباري

حتى ابن فارس الذي ذهب الى قدم النحو قبل زمن ابي الاسود بكثير لاينكر امامته وتجديده فقد قال : « فان قال قائل : لقد تواترت الروايات بان ابا الاسود اول من وضع العربية وان الخليل اول من تكلم في العروض » قيل له : نحن لاننكر ذلك ، بل نقول : ان هذين العلمين قد كانا قديماً واتت عليهما الايام وقلا في ايدي الناس ، ثم جددهما هذان الامامان . » ـــ الصاحبي في فقه اللغة ص ١٠ ونقله بنصه السيوطي في المزهر ٢/٣٤٥

(فأنت ترى أَن أعلام الكوفة كلهم أَخذوا عن أَئمة البصريين بأخره.)

الطبقة الاولى من البصريين

فأما عنبسة فقد « تعلم النحو وروى الشعر وظرف[(١)] حتى صار ـ على مايروى عن الخليل ـ أبرع اصحاب أبي الاسود » [(٢)]

واما ميمون فرأس الناس بعد عنبسة ويروون عن ابي عبيدة قوله: « اول من وضع العربية ابو الاسود ثم ميمون الاقرن ثم عنبسة الفيل ثم عبدالله بن ابي اسحق الحضرمي »[(٣)].

واما نصر بن عاصم الليثي فكان « احد القراء والفصحاء واخذ عنه ابو عمرو بن العلاء والناس » قال فيه الزهري : « انه ليفلق بالعربية تفليقاً » بل منهم من ذهب الى انه « اول من وضع العربية » [(٤)]

واما يحيى بن يعمر فقد عرفت علمه وفصاحته وعرفت شأنه مع الحجاج ووصفوه بالعلم والامانة ، وقد روى عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما[(٥)]

والذي يجب التنبيه اليه قبل الانتقال الى الطبقة الثانية ان تلميذي ابي الاسود : نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر خطوا الخطوة الكبرى التي تلت خطوة ابي الاسود في ضبط الكتابة العربية ، اذ ابتكرا نقط الحروف افراداً وازواجاً لتمييز الحروف المتشابهة كالباء والتاء والياء والنون ، فعلا ذلك باشارة الحجاج على ماذكروا ، وبعد تردد منهما في ان يزيدا شيئاً على رسم مصحف عثمان ، ثم بان لهما صواب الاصلاح بعد روية ، فأقدما عليه .

---

(١) اخبار النحويين البصريين ص ٢٤ .

(٢) المزهر ٢/٣٩٨ .

(٣) اخبار النحويين البصريين ص ٢٥ .

(٤) المصدر نفسه ص ٢١ ، ٢٠ والفهرست لابن النديم ص ٥٩ .

(٥) ص٨ من هذا الكتاب وص ٦٢ من الفهرست وص ٢٢ من اخبار النحويين البصريين

https://archive.org/details/@user082170

الطبقة الثانية من البصريين

وفيها ابو عمرو بن العلاء وعبد الله بن ابي اسحق الحضرمي .

فأما الاول فمن اشراف مازن واحد الاعلام في القرآن واللغة والنحو ،وهو احد القراء السبعة ، قال فيه ابو عبيدة : « أعلم الناس بالقراءات والعربية وايام العرب والشعر ، وكانت دفاتره ملء بيته الى السقف[١] » كان مرجع الناس في عصره ،وخير مايعبر عن مكانته في عيون معاصريه حديث سفيان بن عينية ،قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت : يارسول الله لقد اختلفت علي القراءات ؛ فبقراءة من تأمرني ؟ فقال : بقراءة ابي عمرو بن العلاء . »[١] واخذ عن نصر بن عاصم المتقدم ذكره ، وعن يحيى بن يعمر ، وعن قارىء مكة عبد الله بن كثير.

وأما عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي ، فقد مر بك امره مع الفرزدق، وهو في زمن ابي عمرو والناس يفاضلون بينهما فيقدمون ابا عمرو في اللغة ويقدمون ابن ابي اسحق في النحو وهو « اعلم اهل البصرة واعقلهم ، فرع النحو وقاسه ، وتكلم في الهمز حتى عمل فيه كتاباً مما املاه »[٢] ويذكرون انه اول من علل النحو .

ويمكن ان يلحق بهذه الطبقة عيسى بن عمر الثقفي مولى خالد بن الوليد ، اخذ العلم عن ابي عمرو بن العلاء وعبدالله بن أبي اسحق الحضرمي، وعد في القراء البصريين وهو امام في العربية والنحو ، ولعله اول من الف فيهما كتاباً جامعاً ، وقد اشتهر اسم كتابيه دون ان يصل الينا منهما خبر او أثر ، والغريب ان تلميذه الخليل بن أحمد قرأهما ووعاهما ، وأعجباه حتى جعل مؤلفهما مجدد هذا الفن والمعفى على آثار من سبقه قال :

ذهب النحو جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك (إكمال) وهذا (جامع) ... فهما للناس شمس وقمر

---

(١) بغية الوعاة .

(٢) مراتب النحويين ص ٢٠ والمزهر ٢ /٣٩٨ .

ثم « فقد الناس هذين الكتابين منذ المدة الطويلة ولم يقعا الى أحد علمناه ، ولا خبر أحد انه رآهما » ،وهذاالسيرافي وليس بينه وبين زمن المؤلف الا مئتان من السنين يقول : « لم يقعا الينا ولا رأينا احداً ذكر انه رآهما » (١) فان تكن نسبة البيتين الى الخليل صحيحة يكن اختفاء هذين الكتابين من اعجب الامور في تاريخ النحو .

* * *

اذا نحن انتقلنا الى الطبقة التي تلي هذه كنا ازاء ماسموه بالمذهب الكوفي ،فقد تتلمذ على عيسى بن عمر هذا : الخليل وسيبويه وابو زيد الانصاري أئمة البصريين الاعلام ، وابو جعفر الرؤاسي الذي صار فيما بعد رأس الكوفيين وخلفه في ذلك تلميذاه الكسائي والفراء .

ولسنا نفيض في الكلام عليهم فكلهم مشهور ، ولكننا نذكر بالنواحي التي تعنينا منهم بكلمات :

فأما الخليل « فقد كان الغاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح القياس فيه،وهو اول من استخرج العروض وحصر اشعار العرب بها ، وعمل اول (كتاب العين) المعروف المشهور الذي به تهيأ ضبط اللغة » (٢) الى نواح اخرى له مجيدة مشرفة ليس

---

(١) انظر الفهرست لابن النديم ص ٦٢ وبغية الوعاة. اما ابن الانباري في نزهة الالباء فقد نقل عن المبرد انه قال : « قرأت اوراقاً من احد كتابي عيسى بن عمر ، وكان كالاشارة الى الاصول . » وبين هذه الكلمة الدالة على انه خطوة ابتدائية وتقريظ الخليل بون كما ترى . — هذا ويذكرون انه كان فصيحاً ويتقعر احياناً،امر والي العراق بحمله اليه ودعا بالحداد فأمر بتقييده ، فقيل له لا بأس عليك ، انما اراد الامير لتؤدب ولده . » قال : « فما بال القيد إذاً ؟ ! » فذهبت بالبصرة مثلا . وله الجملة المأثورة في كتب البلاغة حين سقط عن حماره فاجتمع عليه الناس فقال « مالكم تكأكأتم علي كتكأكئكم علي ذي جنة، افرنقعوا عني. »— بغية الوعاة واخبار النحويين البصريين ص ٣٢.

(٢) اخبار النحويين البصريين ص ٣٨ .

من غرضنا هنا الاشارة اليها ، وقد مر بك نمط من آرائه في باب القياس . « وهو استاذ سيبويه ، وعامة الحكاية في كتابه عنه. وكلما قال سيبويه : سألته، اوقال(قال) من غير ان يذكر قائله فهو الخليل . »⁽¹⁾ ونفع الله به الناس وعاش من قناعته وعفته وترفعه في عزة دونها عزة الملوك ، وصدق النضر بن شميل في قوله : « اقام الخليل في خص بالبصرة لايقدر على فلسين وتلامذته يكسبون بعلمه الاموال »⁽¹⁾ .

واما ابو زيد الانصاري فقد كان ثقة صدوقاً راوية ،وهو — وان قدم في النحو على الاصمعي وابي عبيدة — غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب،وحولها يدور اكثر مصنفاته⁽²⁾.

مدرسة الكوفة

وندع سيبويه — لشهرة امره وكتابه وشيوخه وتلاميذه — الى ابي جعفر الرؤاسي رأس الكوفيين :

طلب العلم في البصرة على أئمتها ، قرأ علي ابي عمرو بن العلاء ، وعلى عيسى بن عمر الثقفي ، لكنه لم يقارب احداً من تلامذتهم فلم ينبه وعاش بالبصرة غير معروف.⁽³⁾ وكان اول كوفي الف في العربية ، وكتابه (الفيصل) عرضه — فيما ذكروا — على اصحاب النحو بالبصرة فلم يلتفتو اليه ولاجسر على اظهاره لما سمع كلامهم، اماهو فيزعم ان الخليل طلب الكتاب فأطلعه عليه ، « فكل مافي كتاب سيبويه (وقال الكوفي : كذا) فانما عنى الرؤاسي هذا »⁽²⁾ وزعم جماعة من البصريين ان الكوفي الذي يذكره الاخفش في آخر المسائل ويرد عليه هو الرؤاسي » .⁽²⁾

ويعد من قراء الكوفيين وسترى من اسماء كتبه الموضوعات التي عني بها :

كتاب التصغير ، الافراد والجمع ، الوقف والابتداء ، معاني القرآن .

ولما رجع الى الكوفة وجد فيها عمه معاذ بن مسلم الهراء (— ١٨٧)مرجع الناس

---

(١) بغية الوعاة .

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر معجم البلدان ١٨/١٢٣ .

https://archive.org/details/@user082170

في العربيــة وعني بالصرف ومسائله خاصة ، وتبعه في هــذه العناية من قرأ عليــه من الكوفيين، حتى قيل انهم فاقوا البصريين فيها، ومن هنا عدهم بعض العلماء واضعي علم الصرف.
وتخرج بالرؤاسي تلميذاه المشهوران : الكسائي والفراء .

اما الــكسائي فانت تعرف انه اعجمي الاصل واحد القراء السبعة وامام الكوفيين في العربية ، اخذ عن يونس إحدأ ئمة البصرة وجلس في حلقة الخليل ، ثم خرج الى بوادي نجد والحجاز وتهامة يأخذ عن الاعراب « فأنفد خمس عشرة قنينة حبراً في في الكتابة عن العرب سوى ماحفظ . فقدم البصرة فوجد الخليل قد مات وفي موضعه يونس . فجرت بينهما مسائل اقر له فيها يونس وصدره في موضعه »(١).
ثم انتقل الى بغداد فعاش في قصر الرشيد مؤدباً للامين والمأمون ، ونال الحظوة وأقبلت عليــه الدنيا : يخدمه وليا العهــد ، ويعنى به ويعوده الرشيد نفسه . ولما خرج الرشيد الى الري اصطحب معه الكسائي ومحمد بن الحسن الشيباني فاتفق أن ماتا سنة ١٨٩ في يوم واحد فقال الرشيد : « دفنت الفقه والنحو في يوم واحد » (١)

واما الفراء فقد قرأ بالبصرة على يونس بن حبيب ثم قرأ على الفراء ، ثم لازم الكسائي ببغداد . والذي حثه على الخروج الى بغداد شيخه الرؤاسي .
ولندع الفراء نفسه يحدثنا باول امره ببغداد قال :

قال لي الرؤاسي : « قد خرج الكسائي [الى بغداد] وانت اسن منه » فجئت الى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل من مسائل الرؤاسي، فاجابني بخلاف ماعندي ، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين كانوا معي ، فقال :« مالك قد انكرت ؟ لعلك من اهل الكوفة ؟ » فقلت : « نعم » فقال : « الرؤاسي يقول كذا وكذا.. وليس صوابا وسمعت العرب تقول كذا وكذا . . » حتى اتى على مسائلي ، فلزمته . اه (٢)

---

(١) المصدر السابق .
(٢) الفهرست ص ٩٦ .

والطريف تشاد البصريين والكوفيين في قراءة الفراء على يونس بن حبيب البصري استاذ سيبويه تشاداً على غير المنتظر ، فالكوفيون يزعمون انه استكثر عنه والبصريون يدفعون ذلك . ثم كان الفراء « زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه ! »

صنف (معاني القرآن) الذي قال فيه مادحه « لم يعمل احد قبله مثله ولا احسب ان احداً يزيد عليه » .(١)

وكتبه التي تركها تدور حول مسائل من اللغة والنوادر والصرف والنحو والقرآن، اما كتابه الكبير في النحو المسمى بـ (الحدود) فقد ذكروا انه يشتمل على ستة واربعين حداً في الاعراب. ويعنينا منه هنا قصته فهي تدل على بدع عجيب عرف به بعض النحاة واثر في سير هذا العلم اثراً سيئاً ، ذلك هو الاغراب والتعقيد ، قالوا :

كان السبب في املائه الحدود ان جماعة من اصحاب الكسائي صاروا اليه وسألوه ان يملي عليهم ابيات النحو ففعل ، فلما كان المجلس الثالث قال بعضهم لبعض : « ان دام هذا على هذا علم النحو الصبيان ! والوجه ان يقعد عنه » فقعدوا ، فغضب وقال : « سألوني القعود فلما قعدت تأخروا ، والله لأملين النحو ما اجتمع اثنان » فأملى ذلك ست عشرة سنة .(١)

وانا حائر في التوفيق بين نزعة التسهيل والتبسيط هذه التي في القصة وقولهم في ترجمته « كان يتفلسف في تأليفاته ومصنفاته ، يعنى يسلك في الفاظه كلام الفلاسفة . »(١)

وتكفينا هذه الالماعة عن رجال المدرستين محاولين تتبع الخلاف ومعرفة طبيعته.

❀ ❀ ❀

(٢)

نشأة الخلاف

أَول ما يعرف من الخلاف بين البصريين والكوفيين ما أثبته سيبويه

---

(١) الفهرست ص ٩٩ .

في (الكتاب) من حكاية أقوال (الكوفي) أبي جعفر الرؤاسي على ما علمت آنفاً . والظاهر أن مرافقة الرؤاسي للخليل في القراءة على عيسى ابن عمر جعلت بينهما نوعاً من الأنس سمح للخليل أَن يطلب من الرؤاسي كتابه ، فروى منه بعض أقوال لتلميذه سيبويه ، فأثبتها هذا في كتابه .

ولم يكن في هذا الخلاف ولا في غيره مما حدث بين البصريين أنفسهم يومئذ ، أكثر من المذاكرة وحكاية الأقوال المخالفة والرد عليها أحياناً . فأنت كثيراً ماتجد سيبويه يورد لشيخيه يونس والخليل أقوالاً يخالفها فيقول : (.. وزعم الخليل) ، (.. وزعم يونس) .

ولم تدخل الدنيا بين المشهورين من رجال هذه الطبقة ، فالخليل والرؤاسي مثلاً كلاهما صالح عفيف ، ومتى خلت المناقشات العلمية مما يؤرثها من حوافز المادة أَو الجاه بقيت هادئة جميلة صافية .

فلما قرّب العباسيون الكسائي وتلاميذه وخصوهم بتربية أولادهم وبالاغداق عليهم إذ كان أهل الكوفة بالجملة أخلص لهم وأَحسن سابقة معهم على عكس أَهل البصرة ، اجتهد المقربون بالتمسك بدنياهم التي نالوها ، ووقفوا بالمرصاد للبصريين الذين يفوقونهم علماً فحالوا بينهم وبين النجاح المادي أَو المعنوي بكل ما يستطيعون من قوة ، وإذا كان لبصري كالأصمعي مثلاً حظوة عند خليفة ولم يقدروا على إبعاده مادياً ، اجتهدوا في الغض من علمه .

https://archive.org/details/@user082170

وأَنا أعرض أَنماطاً من خلافهم في المجالس الرسمية تفصح عن العصبية والحدة وحب النيل من المنافس، أعرض ذلك ليكون مدخلاً للكلام على المذهبين بعد أَن عرفنا رجالهما الأولين. ولا تستغرب أَن تكون الحدة والعصبية على الكوفيين أَظهر، وحب الغلبة عندهم أَشد، فهم عن دنياهم وجاههم يدافعون، إذ علموا علم اليقين أَن علمهم إزاء علم البصريين قليل [1]، ولذا كان الخطر من هؤلاء ماثلاً أَمام الكوفيين، ولعين الكسائي منهم خاصة، ولم يرو عن كوفي عنف مثل عنف الكسائي هذا، ولا حرص على الاجهاز على الخصم المنافس كما روي عنه، وإِليك الشواهد:

١ — بين الكسائي والاصمعي

حدث أَحمد بن يحيى ثعلب أحد أَئمة الكوفيين قال:

---

(١) قال ابو حاتم: « لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقرآن ولا كلام العرب، ولولا ان الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل الا حكايات الأعراب مطروحة، لانه كان يلقنهم ما يريد، وهو على ذلك اعلم الكوفيين بالعربية والقرآن، وهو قدوتهم واليه يرجعون.» ـ ارشاد الاريب لياقوت ١٣/ ١٩٠ نقلا عن مراتب النحويين.

هذا وقد علمت آنفاً ان الرؤاسي شيخ الكسائي اقام بالبصرة فلم يرتفع له فيها ذكر، ولا عد علمه شيئاً ازاء علم البصريين. ومهما جعلت للمبالغة نصيباً في قول ابي حاتم فأنت مطمئن الى ستر الكوفيين قصورهم عن منافسيهم بالشغب والسلطان الذي كان لهم.

https://archive.org/details/@user082170

كان الكسائي والأصمعي بحضرة الرشيد ، وكانا ملازمين له يقيمان بإقامته ويظعنان بظعنه ، فأنشد الكسائي :

أَنى جزوا عامراً سُوءى بفعلهم أم كيف يجزونني السوءى من الحسن

أم كيف ينفع ما تعطي العلوقُ به رئمانُ أَنف إِذا ماضن باللبن

فقال الأصمعي « إِنما هو رئمانَ أَنف، بالنصب » فقال له الكسائي : « اسكت ، ما أَنت وذاك ؟ يجوز بالرفع والنصب والخفض : أما الرفع فعلى الرد على (ما) لأنها في موضع رفع بـ (ينفع) فيصير التقدير (أَم كيف ينفع رئمان أَنف) ، والنصب بـ (تعطي) ، والخفض على الرد على الهاء التي في (به) . » فسكت الأصمعي ولم يكن له علم بالعربية ، وكان صاحب لغة ، لم يكن صاحب إِعراب . »[1]

---

(١) ارشاد الاريب ١٣/٨٣ ، واماني الزجاجي ص ٣٤ (المطبعة المحمودية التجارية بالازهر بمصر) . والبيتان لأفنون التغلبي (انظر المفضليات للضبي ٢/٦٣ طبعة دار المعارف بالقاهرة) .

العلوق : الناقة تفقد ولدها بنحر او موت ، فيسلخ جلده ويحشى تبناً ويقدم اليها لترأمه (اي تعطف عليه) ويدر لبنها فينتفعون به، فهي تشمه وينكره قلبها فتعطف عليه ولا ترسل اللبن فشبه، ذلك بهذا .

والبيت مثل يضرب لمن يعدك بلسانه كل جميل ولم يفعل منه شيئاً لان قلبه منطو على ضده ، كانه قيل له : كيف ينفعني قولك الجميل اذا كنت لاتفي به . — اهـ عن المصدر الاول بتصرف يسير .

https://archive.org/details/@user082170

عدوا الكسائي فائزاً في هذه المناظرة، ولعل المجلس تقوض على ذلك . ولكننا الآن لانعده كذلك، فالاصمعي راوية ثبت صدوق وهو في الرواية والاخبار اقوى من الكسائي،والكسائي اورد وجوه الاعراب المحتملة ، اماالاصمعي فانما يرد صاحبه الى الرواية (١) ، وشتان مابين الامرين .

وللاصمعي مجلس آخرمع الكسائي امام الرشيد كال له فيه الصاع صاعين وحكم له الرشيد حكما لزم الكسائي عاره :

قال له الاصمعي وهما عند الرشيد . « مامعنى قول الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم ار مثله مخذولا ؟ »

قال الكسائي : « كان محرماً بالحج » قال الاصمعي : « فقوله :

قتلوا كسرى بليل محرماً فتولى لم يمتع بكفن

هل كان محرماً بالحج ؟ ! ! »

فقال هارون للكسائي : « ياعلي اذا جاء الشعر فاياك والاصمعي . »(٢)

٢ — بين الكسائي وسيبويه

قال الفراء « قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد ان يجمع بينه وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً ، فلما حضر تقدمت وخلف الاحمر ، فدخل فاذا بمثال

---

(١) بل ان المعنى لينصرروايةالاصمعي ويرفض رواية الرفع «وصوب ابن الشجري انكار الاصمعي فقال : لان رئمانها للبو بانفها هو عطيتها اياه لاعطية لها غيره ، فاذا رفع لم يبق لها عطية في البيت ، لان في رفعه اخلاء تعطي من مفعوله لفظاً وتقديراً، والجر اقرب الى الصواب قليلا ؛ وانما حق المعنى والاعراب النصب . » انظر مغني اللبيب : بحث (أم) .

(٢) اخبار النحويين البصريين ص ٥٩ — محرم اي لم يحل من نفسه شيئاً يوجب القتل ، وقوله (محرماً) في كسرى يعني حرمة العهد الذي له في اعناق اصحابه .

https://archive.org/details/@user082170

في صدر المجلس فقعد عليه يحيى ،وقعد الى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فاقبل عليه الاحمر فسأله عن مسألة فأجابه فيها سيبويه فقال له:«أخطأت»، ثم سأله عن ثانية وثالثة كل ذلك يقول له « أخطأت » ، فقال له سيبويه:«هذا سوء ادب »

فأقبلت عليه فقلت : « ان في هذا الرجل حدة وعجلة ، ولكن ماتقول فيمن قال : « هؤلاء أبون ، ومررت بأبين » كيف تقول على مثال ذلك من (وأيت) او (أويت) ! فأجاب فأخطأفقلت له:« أعد النظر » . .ثلاث مرات تجيب ولاتصيب(١). فلما كثر عليه ذلك قال : « لست اكلمكما او يحضر صاحبكما حتى اناظره . »

فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال : « أَتسألني أم أَسألك ؟ » فقال : « بل سلني أَنت . » فقال له الكسائي : « كيف تقول : قد كنت أَظن العقرب أَشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أَو (فإِذاهو إِياها)؟ » فقال سيبويه : (فإِذا هو هي)« ولا يجوز النصب » . فقال له الكسائي : « لحنت » .

ثم سأله عن مسائل من هذا النوع : (خرجت فإِذا عبد الله القائمُ) أَو (القائمَ) ؟ فقال سيبويه في ذلك كله بالرفع دون النصب ، فقال الكسائي : « ليس هذا من كلام العرب ، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب . » فدفع سيبويه قوله ، فقال يحيى بن خالد : « قد اختلفتما وأَنتما

---

(١) قال ابن هشام الانصاري بعد شرحه هذه المسألة: وليس هذا مما يخفى على سيبويه ولا على اصاغر الطلبة ولكنه كما قال ابو عثمان المازني : « دخلت بغداد فألقيت علي مسائل فكنت اجيب فيها على مذهبي ويخطئونني على مذاهبهم » وهكذا اتفق لسيبويه رحمه الله . » ــ مغني اللبيب (مادة اذا)

https://archive.org/details/@user082170

رئيسا بلديكما ، فمن ذا يحكم بينكما ؟ » فقال له الكسائي : « هذه العرب في بابك قد جمعهم من كل أوب ، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس ، وقد قنع بهم أَهل المصرين وسمع أَهل الكوفة وأَهل البصرة منهم ، فيحضرون ويسألون . » فقال يحيى وجعفر : « قد أَنصفت . » فأمر بإحضارهم فدخلوا فهم : أَبو فقْعس وأَبو دِثار وأَبو الجراح وأَبو ثروان فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله ، فأقبل يحيى على سيبويه فقال : « قد تسمع أَيها الرجل . » فاستكان سيبويه (١) .

ولم يختلف البصريون حتى اليوم في ان القول ماقال سيبويه وان الموضع ليس بموضع نصب ، وان هؤلاء الأعراب أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم. ثم جاء ثعلب فاحتال وجهاً للنصب فقال : « وانما أدخل الفاء في قوله (فاذا هو اياها) لان (فاذا) : مفاجأة اي (فوجدته ورأيته ، و (وجدت ورأيت) ينصب شيئين ويكون معه خبر فلذلك نصبت العرب . » (١)

قلت : وهو وجه غير صحيح ولو صح ان (فاذا = وجدت) لوجب ان يقال (فاذا اياه اياها) . ولم يدع ذلك حتى الكوفيون .

---

(١) ارشاد الاريب ١٣/١٨٥ - ١٨٨ ومغني اللبيب في بحث اذا . — وأقبل الكسائي على يحيى فقال: اصلح الله الوزير ، انه قد وفد عليك من بلده مؤملا فان رأيت ألا ترده خائباً » فأمر له بعشرة آلاف درهم ، فخرج وصير وجهه نحو فارس فاقام هناك حتى مات ولم يعد الى البصرة . اه

فيقال ان هؤلاء الاعراب رشوا فوافقوا الكسائي، وقيل تملقوه ارضاء للوزير، وقيل لم ينطقوا بالنصب وانما قالوا: القول قول الكسائي .

https://archive.org/details/@user082170

٣ — بين الكسائي و اليزيدي

لقد سلط الله على الكسائي من يثأر منه للاصمعي وسيبويه ، فأذاقه على يد يحيى ابن المبارك اليزيدى ما كان كفاء لعصبيته على البصريين . ويحيى هذا بصري قرأ على ابي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد ، واتصل بخال المهدي يزيد بن منصور الحميري فأدب اولاده ، واليه نسب فقيل (اليزيدي) . ولم يستطع الكسائي ان يغلبه بجاهه ، فعاش حياته تنزل عليه منه الضربات في المناظرة والهجاء بالاشعار . ثم كان مؤدب المأمون كما كان الكسائي مؤدب الامين ، واليك مجلسين من مجالسهما اولهما قبل مناظرة سيبويه وثانيهما بعدها :

١ — قال اليزيدي :

« كنا في بلد مع المهدي في شهر رمضان قبل أَن يستخلف بأربعة أَشهر ، فتذاكروا عنده النحو والعربية ، وكنت متصلاً بخاله يزيد بن منصور والكسائي مع ولد الحسن الحاجب ، فبعث إِلي وإِلى الكسائي ، فصرت إِلى الدار فإِذ الكسائي بالباب قد سبقني فقال لي : « أَعوذ بالله من شرك يا أَبا محمد » فقلت : « والله لا تؤتى من قبلي أَو أُوتى من قبلك . »

فلما دخلنا على المهدي أَقبل علي فقال : « كيف نسبوا إِلى البحرين فقالوا : (بحراني) وإِلى الحصنين فقالوا : (حصني) ؟ هلا قالوا حصناني كما قالوا بحراني ؟ » فقلت : « أَيها الامير ، لو قالوا في النسب إِلى البحرين (بحري) لالتبس فلم يدر : النسبة إِلى (البحرين) وقعت أَم إِلى البحر ، فزادوا أَلفاً للفرق بينهما كما قالوا في النسب إِلى الروح : روحاني ؛ ولم يكن

https://archive.org/details/@user082170

ا (حصنين) شيء يلتبس به فقالوا : (حصني) على القياس . »

فسمعت الكسائي يقول لعمرو بن بزيع : « لو سألني الأمير عنهما لأجبته بأحسن من هذه العلة . » فقلت : « أصلح الله الأمير ، إن هذا يزعم أَنك لو سألته أَجاب بأحسن من جوابي » قال :« فقد سألته . » قال: « كرهوا أَن يقولوا (حصناني) فيجمعوا بين نونين ، ولم يكن في البحرين إلا نون واحدة فقالوا : (بحراني) لذلك . »

قلت : « كيف تنسب إلى رجل من (بني جنان)؟ إن لزمت قياسك فقلت : (جني) جمعت بينه وبين المنسوب إلى الجن ، وإن قلت (جناني) رجعت عن قياسك وجمعت بين ثلاث نونات . »

ثم تفاوضنا إلى أن قلت له : « كيف تقول . إن من خير القوم وأَفضلهم أَو خيرهم بته زيد ؟ » فأطرق مفكراً وأَطال الفكرة فقلت : « أَصلح الله الأمير ، لأن يجيب فيخطىء فيتعلم ، أَحسن من هذه الإطالة. » فقال : « إن من خير القوم وأَفضلهم أو خيرُ هم بته زيداً » فقلت:« أَخطأ أَيها الأمير . » قال : « وكيف ؟ » قلت : «لرفعه قبل أن يأتي باسم إن ، ونصبه بعد الرفع ، وهذا لا يجيزه أَحد . »

فقال شيبة بن الوليد عمّ ذفافة متعصباً له : « أَراد بـ (أَو) : بل » فقلت : « هذا لعمري معنى » ، فلقنه الكسائي فقال : « ما أردت غيره . » فقلت : « أَخطأتما جميعاً ! لأنه غير جائز أن يقال : إن من خير القوم

https://archive.org/details/@user082170

وأفضلهم ، بل خيرهم زيداً » فقال المهدي : « يا كسائي ، مامر بك مثل اليوم . » قال : « فكيف الصواب عندك ؟ » فقلت : « إن من خير القوم وأَفضلهم أَو خيرَ هم بتة زيد ، على معنى تكرير إن . » فقال المهدي : « قد اختلفتما وانتما عالمان ، فمن يفصل بينكما ؟ » قلت : « فصحاء العرب المطبوعون . » فبعث إلى أبي المطوق ، فعملت أَبياتاً إلى أَن يجيء ، وكان المهدي يميل إلى أخواله من اليمن فقلت :

يا أَيها السائلي لأُخبره ... عمن بصنعاء من ذوي الحسب
حمير ساداتها ، تقر لها ... بالفضل طراً جحاجح العرب
فإن من خيرهم وأفضلهم ... أو خيرَ هم بتة أبو كرب

فلما جاء المطوق أَنشدته الأَبيات وسألته عن المسألة ، فوافقني [١] »

٢ — في حضرة الرشيد :

سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال : « انظر ، في هذا الشعر عيب ؟ » وأَنشده :

---

(١) أمالي الزجاجي ص . ٤ ثم قال الزجاجي : المسأله مبنية على الفساد للمغالطة ، فاما جواب الكسائي فغير مرضي عند احد . وجواب اليزيدي غير جائز عندنا لانه اضمر (ان) واعملها وليس من قوتها ان تضمر فتعمل . . . والصواب عندنا في المسألة ان يقال : « ان من خير القوم وافضلهم او خيرهم البتة زيد » فتضمر اسم ان فيها وتستأنف مابعدها . اهـ — قلت : يريد ان اسمها ضمير شأن محذوف .

https://archive.org/details/@user082170

ما رأينا خَرَباً نـــقر عنه البيضَ صقر [١]

لايكون العير مهراً لايكون ، المهر مهر

فقال الكسائي : « قد أقوى الشاعر . » فقال له اليزيدي : « انظر فيه . » فقال : « أقوى ، لابد أَن ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان . »

فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال :« أَنا أبو محمد ، الشعر صواب . وإِنما ابتدأَ فقال : المهر مهر »

فقال له يحيى بن خالد : « أَتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك ؟ والله لخطأ الكسائي مع أَدبه أَحب إِلينا من صوابك مع سوء فعلك . »

فقال : « لذة الغلبة أَنستنى من هذا ما أحسن . » [١]

٤ — بين المبرد وثعلب

« حكي ان بعض الاكابر من بني طاهر سأل ابا العباس ثعلباً ان يكتب له مصحفاً على مذهب اهل التحقيق ، فكتب (والضحى) بالياء ، ومذهب الكوفيين انه اذا كان كلمة من هذا النحو اولها ضمة او كسرة كتبت بالياء وان كانت من ذوات الواو . والبصريون يكتبون بالالف . فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال : « ينبغي ان يكتب (والضحا) بالألف لانه من ذوات الواو ، فجمع ابن طاهر بينهما :

---

(١) ارشاد الاريب ١٣/١٧٨ . ـ الخرب ذكر الحباري ، والمعنى لايحاول الصقر استخراج صقر من بيضة الحبارى . و (يكون) الثانية توكيد لفظي للاولى . وأراد بـأقوى : لحن

https://archive.org/details/@user082170

فقال المبرد لثعلب : « لم كتبت (والضحى) بالياء ؟ » فقال : « لضمة أوله . » فقال له : « ولم إذا ضم أَوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء ؟» فقال : لأن الضمة تشبه الواو ، وما أَوله واو يكون آخره ياء ، فتوهموا أَن أوله واو » فقال المبرد : « أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة ؟ ! ! ! » (١)

❀❀❀

في هذه الأخبار مجال لمن شك فيها أَو توقف ، فما فاز فيه الكسائي على خصمه عرفناه من رواية أَنصاره الكوفيين ، فراوي خبر الأصمعي والكسائي : ثعلب وهو من أَئمتهم ، وراوي خبر سيبويه والكسائي : الفراء تلميذ الكسائي ، وراوي خبر اليزيدي والكسائي : اليزيدي نفسه ولم نسمع رواية الطرف الآخر ممن شاهد الوقائع ؛ ومع هذا نستطيع اعتبارها واقعة كما رووها لنا ونمضي في بحثنا ، جاعلين عدم نقض البصريين لهذه الروايات إقراراً منهم بمضمونها . ونلاحظ بعد ذلك الأمرين الآتيين :

١ — لا يحتاج القارىء إلى كثير روية حتى يطمئن إلى أَن الحق في كل هذه المناظرات كان بجانب البصريين : الاصمعي، وسيبويه ، واليزيدي والمبرد . وأَن حجج الكوفيين في هذه المسائل الأربع واهية .

---

(١) ارشاد الاريب ١٩/١١٨ .

https://archive.org/details/@user082170

٢ — لم تكن أكثر هذه المجالس عادلة ، فميل السلطان إلى أحد الخصمين وتقريبه له ومكانته عنده ، كل ذلك قوى نفسه فاستطال على خصمه بدالته ولسانه وجاهه في القصر وعند الشهود ، وتحدثت هذه المجالس بغلبته ، إلى أن مضت الأيام وانقضت تلك الاعتبارات وحكم التاريخ فرد الحق إلى أهله .

. . .

وبعد ، فقد بلغ هذا الخلاف أجله ، ودرج العلماء والمؤرخون على أن هناك مذهباً بصرياً وآخر كوفياً ، فما معالم كل من المذهبين وما أهم الميزات لهذا وذاك ؟

أبادر قبل بسط هذه المعالم إلى تسجيل أمرين لابد منهما إذا أردنا الدقة في البحث والاحتياط في الأحكام :

١ — نحن اليوم نملك من كتب البصريين عدداً صالحاً يساعدنا في إرسال الأحكام بشيء من الاطمئنان ، فقد راجت في الأقطار منذ تأليفها حتى اليوم ، وشرح منها الشيء الكثير ، وتداولته الطلبة على مر السنين . ثم كان الذين ألفوا في طبقات النحويين واخبارهم ممن طبعت كتبهم ينصر أكثرهم المذهب البصري ، وكان النحو في الشام ومصر والمغرب والأندلس .. بصري الطابع في أكثر مسائله أغلب الأزمان ، وهذا كله قد خدم كتب البصريين ونحوهم خدمة لم يحظ بعضها المذهب الآخر .

https://archive.org/details/@user082170

أما الكوفيون فلم يطبع من كتبهم النحوية حتى الآن شيء فيما أعلم وإنما اطلعنا على أقوالهم في كتب المتأخرين منثورة على المسائل ، أي إن آراءهم وردت في كتب خصومهم –مع شيء من التجوز– للرد عليها؛ فإن نحن اعتمدنا على ذلك في إصدار الأحكام ، لم نكن إلى العدل في شيء. والحق يقضي ألا نرسل حكماً بين فريقين إلا بعد الاستماع إلى حجج كل من فيه . وهذا مع الأسف ليس ميسوراً الآن .

٢ — هذه الميزات والمعالم الآتية بعد ، ليست جامعة مانعة ؛ فليست هناك قاعدة أجمع عليها نحاة البصرة وتوارد على معارضتها نحاة الكوفة ، أو قال بها الآخرون جميعاً وعارضها الاولون جميعاً . بل كثيراً ما نجد العالم الواحد من أهل الكوفة مثلاً يذهب إلى أحكام يوافق فيها مذهب خصومه ويخالف أهل مصره . وطالما تجد هذه الظاهرة في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري) (١) وفي كتب النحو الأخرى (٢) . وما أكثر ما نقرأ فيها : « قال البصريون إلا فلاناً وفلاناً

---

(١) انظر مثلا المسألة الثالثة (١/١٩) في خلافهم حول الالف والواو والياء في التثنية والجمع :هل هي اعراب كالفتحة والضمة والكسرة او هي حروف اعراب، فتجد الكوفيين قالوا بالاول ، والبصريين بالثاني، ووافق قطرب (البصري) مذهب الكوفيين . وانشق المازني والمبرد والاخفش عن البصريين برأي ثالث .

(٢) انظر مثلا مغني اللبيب : مادة (كلا) فقد اختلف في معناها الكسائي والفراء وكلاهما كوفي : قال الاول هي بمعنى حقاً وقال الثاني : هي بمعنى (ألا) الاستفتاحية.

https://archive.org/details/@user082170

كذا ، وذهب الكوفيون إلا فلاناً إلى كذا . »

ولم يطرد الصواب في أحد المذهبين اطراداً ، بل تجده تارة مع هؤلاء وتارة مع أولئك ، وحيناً وسطاً بينهما .

(٣)

الفروق بين المذهبين البصري والكوفي

بعد الاحتياط المتقدم نحصر الكلام على المذهبين في ناحيتين اثنتين إليهما مرد الأمر كله ، وهما السماع والقياس .

أمر السماع

تقع البصرة على سيف البادية ، وأكثر عربها من قيس وتميم ، وقد عرفت شأنهما في الاحتجاج ، وتحف بها قبائل عربية سليمة السليقة لم تفسد لغتها بمخالطة الأعاجم ، فكانت هذه القبائل ترد سوق البصرة المشهورة (المربد) . وأنت تعلم أن المربد كانت عكاظ الإسلام ، ففيها تناشد وتفاخر كما فيها تجارة وبيع [١] ، وذلك له أثره في فصاحة أهل البصرة وسلامة لغتهم . ثم كانت هناك رحلات متبادلة ، فعلماء البصرة دائمو الترحال إلى البادية والجزيرة يتلقون عن أعرابها ، والأعراب دائمو

---

(١) انظر بسط ذلك في كتابنا (أسواق العرب في الجاهلية والاسلام) .

الورود إلى البصرة لشؤون معايشهم ، فقد ضرب في بوادي الجزيرة الأصمعي وأبو عبيدة ويونس وأبو زيد والخليل وغيرهم ، ثم كانوا يتحرون في الأخذ : أما العربي فيتحرون فيه سلامة لغته وسليقته [١] وأما الراوي فالصدق والضبط ، ثم كانوا لا يعتدون بالشاهد إذا لم يعرف قائله أو لم يروه عربي يوثق بلغته [٢] .

أما الكوفة فهي أدخل في العراق وأقرب إلى الاختلاط بالاعاجم ، ولغة أعرابها ليست لها سلامة لغة أعراب البصرة ، فأكثرهم يمن وبها قليل من قبائل أخرى ، واليمن - كما رأيت في بحث الاحتجاج - لا يحتج بلغتها لتغيرها بالاختلاط بالفرس والأحباش ، ثم بين الكوفة وجزيرة العرب صحراء السماوة الشاسعة فلذا لم تكن رحلات علمائها إلى الجزيرة كرحلات علماء البصرة ، والكسائي الذي ارتحل لم يرتحل إلا لما تتلمذ على الخليل وسأله فأرشده إلى الرحلة . نعم كان للكوفة سوق أرادوا بها أن تحاكي مربد البصرة وهي (سوق كُناسة) ، لكن لم يكن لهاذلك

---

(١) استضعف ابو عمرو بن العلاء فصاحة ابي خيرة الاعرابي لما سأله : كيف تقول: استأصل الله عرقاتهم ؟ » ففتح ابو خيرة التاء ، فقال له ابو عمرو : « هيهات ابا خيرة ، لان جلدك . » — الخصائص ١/٤١٣ .

(٢) في كتاب سيبويه (١٠٥٠) شاهداً خمسون منها لم يعرف قائلوها، فاعتذروا بأن سيبويه وثق برواتها . ومع هذا كان بين هذه الخمسين ما وضع وضعاً . وهو نزر يسير لا يعتد به .

الشأن ، وهي إلى أن تكون داعية إفساد اللغة أَقرب منها إلى أن تكون عاملاً في صيانتها ، لأن الأعراب الذين يؤمونها غير سليمي السلائق. كل هذه العوامل صرفت الكوفيين إلى رواية الشعر ، فذلك هو الميسور لهم ، وزعموا أَن سبب علمهم بالشعر وسبقهم فيه أَهل البصرة : أن المختار بن أبي عبيد لما خرج بالكوفة قيل له : « إن تحت القصر الأبيض الذي كان للنعمان كنزاً » ، فاحتفر فوجد الطنوج التي كان النعمان أَمر أَن ينسخ فيها أَشعار العرب، فأخرجها . قالوا : فمن ثم كان أَهل الكوفة أَعلم بالشعر ، هذه رواية حماد الراوية الكوفي [١] .

هذا حال من ينقلون عنه من حيث السليقة وسلامة اللغة ، وأما الجهة الثانية وهي صدق الراوي وضبطه فلم يعنوا بها ، ولذا كثر الموضوع المصنوع في أكثر رواياتهم ، قال أبو الطيب اللغوي : « الشعر بالكوفة أكثر وأَجمع منه بالبصرة ، ولكن أَكثره مصنوع ومنسوب إِلى من لم يقله، وذلك بيّن في دواوينهم » [٢] وأَبعد من ذلك في الدلالة قصة خلف ابن الأحمر راويتهم الكبير فقد قال :

« أتيت الكوفة لأكتب عنهم الشعر فبخلوا علي به ، فكنت أعطيهم المنحول وآخذ الصحيح . ثم مرضت فقلت لهم : « ويلكم ، أَنا تائب

(١) انظر الخصائص ١/٣٩٣ . الطنوج: الكراريس.
(٢) مراتب النحويين ١١٩ .

https://archive.org/details/@user082170

إلى الله تعالى ؛ هذا الشعر لي . » فلم يقبلوا مني وبقي منسوباً إلى العرب لهذا السبب .[١]

أَما راويهم الأكبر « حماد » فهو الشمس شهرة في كذبه ووضعه ، و « قدساط على الشعر من حماد الراوية ماأفسده فلا يصلح أَبداً . . فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل من الأقدمين ويدخله في شعره ، ويحمل عنه ذلك في الآفاق فتختلط أَشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد ، وأَين ذلك »[٢]

كان من الطبيعي إذاً أَن يطرح الثقات روايات أَهل الكوفة وقد ملأها حماد وخلف وغيرهما بالمصنوع ، وصار ذلك مما يميز مدرسة الكوفة من مدرسة البصرة ، وعرف ذلك الخاص والعام ، حتى أَتى من أَلف في طبقات النحويين فسجل الظاهرة الآتية :

« لا يعلم أحد من علماء البصريين بالنحو واللغة أَخذ عن أهل الكوفة إلا أبا زيد الانصاري البصري ، فقدروى عن المفضل الضبي الكوفي[٣] . أَما أهل الكوفة فيروون عن أهل البصرة إذ كانوا اساتذتهم . حتى الكسائي الذي قرأَ على الخليل ويونس وعيسى بن عمر ، ورأَى تحريهم فيما

---

(١) وفيات الاعيان ١/٣٩٣ .

(٢) كلمة المفضل الضبي — ارشاد الاريب ١٠/٢٦٥ .

(٣) نزهة الالباء لابن الانباري ص ١٧٥

https://archive.org/details/@user082170

ينقلون وفيمن يشافهون؛ زايل التحري حين انتقل إلى بغداد وكان أمره كما قال أَبو زيد الانصاري: «قدم علينا الكسائي البصرة فلقي عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقي أَعراب الحُطَمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله.» (١)

هذا فرق ما بين المدرستين في أمر السماع وصحته والتحري فيه.

. أمر القياس

رسم البصريون خطتهم في النحو بعد أَن جعلوا نصب أَعينهم الهدف الذي إليه يرمون، وهو عصمة اللسان من الخطأ، وتيسير العربية على من يتعلمها من الأعاجم. ولذا تحروا ما نقلوا عن العرب ثم استقروا أَحواله فوضعوا قواعدهم على الأعم الأغلب من هذه الأحوال، فإن تناثر هنا وهناك نصوص قليلة لا تشملها قواعدهم سلكوا بها ـ بعد التحري من صحة نقلها عن العرب المحتج بكلامهم ـ إحدى طريقين: إما أن يتأولوها حتى تنطبق عليها القاعدة، وإما أَن يهملوا أَمرها لقلتها

---

(١) ارشاد الاريب ١٣/١٨٢. الحطمية قرية على فرسخ من شرقي بغداد. وذكر الاصمعي «ان الكسائي ياخذ اللغة عن اعراب الحطمية ينزلون بقطربل (قرية بين بغداد وعكبرا) وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر سيبويه استشهد بكلامهم واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه» ١٣/١٨١.

https://archive.org/details/@user082170

فيحفظوها ولا يقيسوا عليها، جاعليها من الصنف الذي سموه مطرداً في السماع شاذاً في القياس ، وقد مر بك هذا (ص ٨٤) . وذلك مثل (استحوذ واستصوب) والقياس فيها الاعلال مثل (استقال ، استجاد ، استطال .. الخ) فقالوا : تحفظ الكلمات النادرة التي وردت عن العرب في هذا الباب ولا يقاس عليها ، بل منهم من ذهب إلى أن اتخاذ القياس فيها (استحاذ ، استصاب) غير خطأ .

وهم الذين أَمعنوا في أحوال الكلام العربي ، واستنبطوا عللهُ ، وحكّموا فيها المنطق والعقل حتى جاءت قواعدهم في القياس والنحو الذي بني عليها متماسكة متناسقة في الجملة ، ولا بد في كل تنسيق من تشذيب يخرج بعض النتوء من الهيكل المشذب . ولم يكن إلى الصواب من عاب عليهم من المحدثين أَنهم بتعميم هذه القواعد قد أهدروا شيئاً من اللغة ، فهم حين يختارون بين اللغتين أَشيعهما وأَقربهما إلى القياس ، قد قاموا بالخير ما يمكن أن يقوم به من يريد حفظ اللغة ، ومع أَن الكوفيين جمعوا ما هب ودب ولم يفرطوا شيئاً مما وصل إليهم ، لم يدّعوا ولم يدّع لهم أحد أَنهم لموا اللغة من أطرافها وأحصوها ، وأَنا نجد عندهم كل لغات العرب بلهجات قبائلها ؛ بل نحن أَحرى أن نجد عند البصريين المنظمين المنسقين مالا نجده عند غيرهم ، فالنظام يحفظ في نسق مالا يستطيع غيره أن يحفظه .

أما الكوفيون فلم تكن لهم أصول يبنون عليها غير ما أخذوه عن أساتذتهم البصريين ولم يحسنوه ، ثم جعلوا من اللامنهج في سماعهم منهجاً خاصاً لهم ، فسمعوا الشاذ واللحن والخطأ ، وأخذوا عمن فسدت لغته من الأعراب وأهل الحضر ؛ فلما اقتضتهم المنافسة أن يكون لهم قياس كما لأولئك بنوه على ما عندهم مما يتنزه عن روايته البصري ، ثم جعلوا كل شاذ ونادر قاعدة لنفسه ، فانتشرت قواعدهم ولم يعد لها ما يمسكها من نظام أو منطق ، وضاعت الغاية من وضع النحو فلم يعد ـ في أيديهم ـ أداة تيسير لتعلم العربية ، بعد أن أصبحت له قواعد بعدد ما جمعوا من شواهد ، وهذا شيخهم وكبيرهم الكسائي : «كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز من الخطأ واللحن. وشعر غير أهل الفصاحة ، والضرورات ، فيجعل ذلك أصلاً ويقيس عليه حتى أفسد النحو »(١) وحتى ضاق به وبقياسه وبسماعه اليزيدي فقال :

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول

فجاءنا قوم يقيسونه ... على لُغى أشياخ قطربّل

---

(١) ارشاد الاريب ١٣/١٨٣ . ويقول ابن دستوريه . «كان الكسائي يسمع الشاذ الذي لا يجوز الا في الضرورة فيجعله اصلا ويقيس عليه فافسد النحو بذلك.» — بغية الوعاة ص ٣٢٦ .

https://archive.org/details/@user082170

فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلي
إن الكسائي وأشياعه يرقون بالنحو إلى أسفل [(١)]

وغلب هذا الانحراف على الكوفيين حتى قال الأندلسي شارح المفصل : « الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً فيه جواز شيء مخالف للأصول جعلوه أصلاً وبوّبوا عليه . » [(٢)]

أما قياسهم نفسه ومقدار جودته فقد مر بك في المناظرات نمط منه ، وعرفت وهيه حين يعللون بالتوهم مرة في (في رسم الضحى)، وبتسليط فعل مقدر على أحد المتعاطفين دون الثاني في قضية (فإذا هو إياها) .

❀❀❀

اتجه بعض الباحثين المحدثين إلى عد المذهب الكوفي مذهب سماع على حين عدوا المذهب البصري مذهب قياس ، فذهب الأستاذ أحمد أمين بك إلى أنهم « يحترمون كل ماجاء عن العرب ويجيزون للناس أن يستعملوا استعمالهم » [(٣)] ، وبالغ المرحوم الاستاذ طه الراوي فقال : « أما مذهب الكوفيين فلواؤه بيد السماع ، لايخفر له ذمة ولا ينقض له عهداً ، ويهون على الكوفي نقض أصل من أصوله أو نسف قاعدة من

---

(١) اخبار النحويين البصريين ص٤٤ وبغية الوعاة ص٣٣٦ وارشاد الاريب ٣١/٢٠
(٢) الاقتراح ١٠٠ .
(٣) ضحى الاسلام ٢٩٥/٢ .

https://archive.org/details/@user082170

قواعده ، ولا يهون عليه اطراح المسموع على الأكثر . »[١]

وأود هنا ـ بعد مامر بك ـ أن أحرر هذا الامر فأفرق بين القياس ذي الأصول المقررة ، والقياس المشوش الذي لاضابط له . فالصحيح أن الفريقين كانا يقيسان ، وربما كان الكوفيون أكثر قياساً إذا راعينا (الكم) فهم يقيسون على القليل والكثير والنادر والشاذ ، ولم نعلم لهم مناهج محررة في القياس، أما البصريون فهم أَقيس إذا راعينا (الكيف) والحق مراعاته ؛ فهم لا يقيسون إلا على الأعم الأغلب، ولهم في القياس أصول عامة يراعونها. والزمن حكم لعلمهم بالبقاء إذ كان الأنسب والاضبط، فكان نحو الناس حتى هذا اليوم بصرياً في أغلبه. تصرفت الحياة في هذا الأمر بما لايشعر به البصريون ولا الكوفيون، إذ أن لها اختيارها الخاص الملائم: تقبل ما يروقها وتحييه غير آبهة لما يقول هؤلاء ولا مايقول أولئك ، وإنما السليقة اللغوية الخفية في نفوس المتكلمين هي التي احتفظت بما كان أقرب لروح العربية الأولى: فمات بل لم يولد ماجانف هذه السليقة ، فما أحد قال ولا يقول اليوم (الرجال قام) وإن قال المذهب الكوفي بتقديم الفاعل على الفعل .

أَما السماع فهل كان الكوفيون (يحترمونه) حقاً كما قال الاستاذ أَحمد أمين بك ؟ ، وهل كان (لواؤهم بيده لايخفرون له ذمة) كما قال المرحوم الأستاذ طه الراوي ؟ لعلك بعد ما سبق لك موقن معي أَن

---

(١) نظرة في النحو : مجلة المجمع العلمي العربي ١٤/٣١٩ .

السماعيين هم البصريون لا الكوفيون ؛ فمن احترام السماع صيانته وحفظه من كل موضوع ، ومن احترامه تحري حال المسموع منه ، فلا يُدس فيه كلام الذين فسدت لغتهم من أعراب الحطمية وأَشياخ قطربّل ، ومن احترامه ألا نساوي فيه بين القليل النادر والأكثر الشائع فنغمط حق هذا الأخير . وإنّ حشرنا فيه الضعيف والشاذ واللحن والخطأ مما يقع فيه اعراب السواد ، والشعر المصنوع مما دسه حماد وخلف ، خفر لذمته ونقض لعهده .

الحق أن البصريين عنوا بالسماع فحرروه وضبطوه (واحترموه) ؛ على حين زيفه الكوفيون وبلبلوه ، والأمر في القياس على هذه الوتيرة ؛ نظمه وحرر قواعده وأحسن تطبيقه البصريون ، على حين هو في يد الكوفيين مشوش غير واضح المعالم ولا منسجم في أَجزائه ،ولا مطرد. بل تجد فيه ظاهرة غريبة جداً ، وهي إطلاقهم -وهم المتقيدون بالسماع- الاشتقاق فيما لم يسمع عن العرب ، فقد ذهبوا إلى قياس (مَفْعل وفُعال على نحو مثنى وثلاث) من خمسة إلى تسْعة على حين لم يسمع عن العرب ذلك إلا من واحد إلى أربعة ، والبصريون أنفسهم- وهم القياسيون- منعوه (إلا المبرد منهم) لعدم السماع ، ولأن يكون ذلك من البصريين أحرى إذ هو بمذهبهم أَشبه وعن مذهب الكوفيين أبعد . وهذا يؤكد لك ما ذهبت إليه من أنه مذهب غير منسجم .

https://archive.org/details/@user082170

أميل إذاً إلى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا مذهب قياس منظم . لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب السماع ومذهب القياس وهما حقاً وجدا ، ولكن في البصرة لا في الكوفة أَما القياس فليست بصريته موضع خلاف ، وأَما السماع الصحيح فإني أوثر أَن أنقل فيه كلام الأُستاذ أحمد أمين نفسه في أَن هذه المدرسة مدرسة بصرية ، قال :

« كانت هاتان النزعتان في البصرة في أَيامها الأُولى، فهم يقولون : إِن ابن أبي إِسحق الحضرمي وتلميذه عيسى بن عمر كانا أَشد ميلاً للقياس وكانا لا يأبهان بالشواذ ولا يتحرجان من تخطئة العرب ؛ وكان أبو عمرو بن العلاء وتلميذه يونس بن جيب البصريان أَيضاً على عكسهما : يعظمان قول العرب ويتحرجان من تخطئتهم ، فغلبت النزعة الأُولى على من أَتى بعد من البصريين ، وغلبت النزعة الثانية على من أتى بعد من الكوفيين ولا سيما الكسائي الكوفي . »

وهذا حق مع استدراك واحد ، هو أن أبا عمرو ويونس يعظمان قول العرب بعد التحري والتثبت من أنه كلام العرب المحتج بهم، أما الكوفيون فلا يتحرون ، ولو قال الاستاذ (فغلبت النزعة الثانية مشوهة الخ . .) لطبق المفصل ، وجميل ما حكم به بعد ذلك بين المذهبين :

« ونرى في هاتين النزعتين أَن البصريين كانوا أكثر حرية وأقوى

https://archive.org/details/@user082170

عقلاً ، وأن طريقتهم أكثر تنظيماً وأقوى سلطاناً على اللغة ؛ وأن الكوفيين أقل حرية وأشد احتراماً لما ورد عن العرب ولو موضوعاً . فالبصريون يريدون أن ينشئوا لغة يسودها النظام والمنطق ، ويميتوا كل اسباب الفوضى من رواية ضعيفة أو موضوعة، أوقول لا يتمشى مع المنطق والكوفيون يريدون أن يضعوا قواعد للموجود حتى الشاذ ، من غير أن يهملوا شيئاً حتى الموضوع »[1]

وبهذا لا يكون من الدقة – في رأيي – إطلاق النزعة السماعية على المذهب الكوفي والنزعة القياسية على المذهب البصري . والدقة التي يؤيدها التاريخ والامعان فيه وفي أقوال الكوفيين والبصريين ألا يكون مذهب بصري يقابله مذهب كوفي . بل نزعة سماعية يقابلها نزعة قياسية يختلف حظ كل منهما صحة وحالاً ومقداراً بين البلدين ، بل بين نحاة كل بلد على حدة . على ذلك الأساس يصح أن نعيد النظرة في النحو وتاريخه ورجاله على هذا التصنيف الجديد ، بعد أن علمنا أن النزعتين تتمثلان على حقهما بالبصرة لا بالكوفة .

. . .

وبعد فهذه أحكام تقريبية لا مطردة؛ إذ أن في المذهب الكوفي مسائل جيدات تختار على مثيلاتها في المذهب البصري ، كإعمالهم مثلاً اسم

---

(١) ضحى الاسلام ٢/٢٩٦ .

https://archive.org/details/@user082170

المصدر عمل المصدر ، فحكمهم في ذلك صحيح واضح تؤيده روح القواعد والمنطق ، وشاهداهم عليه صحيحان قويان [١] وما اتجهوا إليه في إعراب (نعم وبئس) [٢] أيسر وأقرب إلى الفطرة اللغوية من مذهب اخوانهم البصريين . ولهم أشباه هاتين المسألتين .

وبذلك تدرك صواب الظاهرة التي قدمت بها هذا الكلام من أن الحق يصيبه هؤلاء تارة وهؤلاء تارة .

ونختم هذه الفقرة بمثل صغير من الخلاف بين المدرستين ننتزعه من كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري) نموذجاً لقضايا جاوزت المئة في هذا الكتاب ، يبسط في كل منها رأي الكوفيين وحججهم ثم رأي البصريين وحججهم مع ردودهم على حجج الكوفيين غالباً .

---

(١) قول القطامي يمدح زفر بن الحارث الكلابي :

أكفراً بعد رد الموت عني وبعد عطائك المئة الرتاعا

والحديث الشريف : « من قبلة الرجل امرأته الوضوء . »

ففزع البصريون في رد القاعدة الى ان الحديث مروي بالمعنى ، والى ان البيت فيه ضرورة . لكن الزمن حكم للكوفيين فصحت قاعدتهم وسار عليها الناس وقبلها النحاة حتى يومنا هذا . ونحو من هذا : القاعدة التي وضعها البصريون في وجوب اعادة الجار قبل المعطوف على المجرور وقد عرفت امرها ص ٣٠ .

(٢) انظرها في كتاب (الانصاف في مسائل الخلاف) ص ٦٦ .

https://archive.org/details/@user082170

٩٢ — مسألة سوف

ذهب الكوفيون الى ان السين التي تدخل على الفعل المستقبل نحو : (سأفعل) اصلها (سوف) ، وذهب البصريون الى انها اصل بنفسها .

اما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: انما قلنا ذلك لان سوف كثر استعمالها في كلامهم وجريها على السنتهم ، وهم ابدا يحذفون لكثرة الاستعمال كقولهم : « لاأدر ، ولم أبل، ولم يك ، وخذ ، وكل » واشباه ذلك ، والاصل : « لاأدري ، ولم ابال ، ولم يكن ، واأخذ ، واأكل » فحذفوا في هذه المواضع وما اشبهها لكثرة الاستعمال فكذلك هاهنا : لما كثر استعمال (سوف) في كلامهم حذفوا منها الواو والفاء تخفيفاً.

والذي يدل على ذلك انه قد صح عن العرب انهم قالوا في (سوف افعل): (سو أفعل) فحذفوا الفاء ، ومنهم من قال سف افعل) فحذف الواو واذا جازان يحذف الواو تارة والفاء اخرى لكثرة الاستعمال جاز ان يجمع بينهما في الحذف مع تطرق الحذف اليهما في اللغتين لكثرة الاستعمال . والذي يدل على ذلك ان السين تدل على ما تدل عليه سوف من الاستقبال ، فلما شابهتها في اللفظ والمعنى دل على انها مأخوذة منها، وفرع عليها.

واما البصريون فاحتجوا بان قالوا: انما قلنا ذلك لان الاصل في كل حرف يدل على معنى ألا يدخله الحذف وان يكون اصلا في نفسه ، والسين حرف يدل على معنى؛ فينبغي ان يكون اصلا في نفسه لا مأخوذاً من غيره .

واما الجواب عن كلمات الكوفيين : اما قولهم« ان (سوف) لما كثر استعمالها في كلامهم حذفوا الواو والفاء لكثرة الاستعمال »قلنا هذا فاسد ؛ فان الحذف لكثرة الاستعمال ليس بقياس ليجعل اصلا لمحل الخلاف ، على ان الحذف ولو وجد كثيراً في غير الحرف من الاسم والفعل فقلما يوجد في الحرف ، وان وجد الحذف في الحرف في بعض المواضع فهو على خلاف القياس فلا يجعل اصلا يقاس عليه .

https://archive.org/details/@user082170

واما ما رووه عن العرب من قولهم في (سوف افعل) : (سو افعل) و (سف افعل) فالجواب عنه من ثلاثة اوجه :

الوجه الاول : ان هذه رواية تفرد بها بعض الكوفيين ؛ فلا يكون فيها حجة

والثاني : ان صحت الرواية عن العرب فهو من الشاذ الذي لا يعبأ به لقلته .

والثالث : ان حذف الفاء والواو على خلاف القياس ؛ فلا ينبغي ان يجمع بينهما في الحذف لان ذلك يؤدي الى ما لا نظير له في كلامهم ؛ فانه ليس في كلامهم حرف حذف جميع حروفه طلباً للخفة على خلاف القياس حتى لم يبق منه الا حرف واحد ، والمصير الى ما لا نظير له في كلامهم مردود .

واما قولهم « ان السين تدل على الاستقبال كما ان (سوف) تدل على الاستقبال» قلنا : هذا باطل ؛ لانه لو كان الامر كما زعمتم لكان ينبغي ان يستويا في الدلالة على الاستقبال على حد واحد ، ولاشك ان (سوف) اشد تراخياً في الاستقبال من السين ، فلما اختلفا في الدلالة دل على ان كل واحد منهما حرف مستقل بنفسه غير مأخوذ من صاحبه ، والله اعلم . » (١)

(٤)

اثر العصبية في الخلاف

جرى بعض الباحثين قديماً وحديثاً على رد الخلاف النحوي بين هذين المصرين العربيين إلى السياسة ، وهو رأي سطحي لا يثبت عند التدقيق: فأهل النظر في كل فن تتباين أنظارهم كثيراً دون أن يكون للسياسة أو غيرها في ذلك أثر ،وإنما هو الاجتهاد المحض ، وهؤلاء أئمة البصريين يختلفون ـ فيما بينهم ـ اتجاهاً واجتهاداً في مسائل كثيرة من مسائلهم .

---

(١) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ص ٣٧٩ (مطبعة الاستقامة في القاهرة).

https://archive.org/details/@user082170

نعم ، ربما كان للسياسة أثر ما في ميل الأمراء العباسيين إلى الكوفيين ، لكن هذا شيء وتوجيه الفن إلى اتجاه خاص شيء آخر .

أما هذه الأحداث التي كانت تكون بين كوفي وبصري في قصور الحكام فنوع من الدفاع عن القوت أولاً وميل إلى العصبية البلدية اخراً . ولا تظنن أن ما مر بك من مشاحنات بينهم كان يصرف بعضهم عن الانتفاع بعلم بعض ، وحسبك أن تعلم أن الفراء مات « وتحت رأسه كتاب سيبويه » وأن الكسائي وهب للأخفش سبعين ديناراً لقراءته كتاب سيبويه عليه وأن الجاحظ لما عدد مفاخر البصرة على الكوفة قال : « وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله » ولما اشترى الجاحظ كتاب سيبويه من ميراث الفراء رآه أثمن مايهدى إلى محمد بن عبد الملك الزيات، فلما دخل عليه وقد افتصدسأله « ما أهديت لي يا ابا عثمان . » قال:« أطرف شيء : كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء !! » .. إلى غير ذلك من الأخبار التي إن صدقتها فدلالتها على العصبية البلدية ظاهرة،وإن ذهبت إلى وضعها أو التزيد فيها فالدلالة أظهر.

لم يختلف نحاة المصرين تبعاً لاختلاف سياسة بلديهما، فليس للسياسة تأثير مباشر في ذلك ، وإنما كان التكتل استجابة للعصبية ليس غير :

أنشئت البصرة والكوفة على عهد عمر بن الخطاب ، وانقضت سنون من عهد عثمان والمصران كالبلد الواحد ولبعض القبائل جماعات في كل

https://archive.org/details/@user082170

منهما ، فلما كان الشغب أيام عثمان أسهم العراقيون فيه ، وآلت الأمور إلى قتل الخليفة والفتن المتلاحقة بعد . وكان أن انضم البصريون في وقعة الجمل إلى عائشة وطلحة والزبير ، وانضم الكوفيون إلى علي ، وكانت الملحمة بينهما واستحر القتل وكان لكل فريق مجزرة هائلة في الفريق الآخر ، فمن ثم العداوة والتخاصم والتنافس بين البلدين . فلما انقضى عهد القلاقل خلف في اذهان الفريقين قصصاً وأدباً وشعراً ووقائع تذكر بالفخر تارة وبالوجيعة تارة اخرى (١) .

فهذا ماولدت العصبية والتنافس بين وفود الفريقين ورجالاتهم في الأسمار ومجالس الأمراء .

ولئن كانت أحداث سياسية خاصة هي المفرقة قديماً ، إنها تطورت

---

(١) انظر اخبارها في معجم البلدان لياقوت ، وفي كتاب البلدان للهمداني ففيهما طرائف، وانظر على سبيل التمثيل ابيات اعشى همدان ينتصر للكوفة على البصرة :

اكسع البصري ان لاقيته	انما يكسع من قل وذل
واجعل الكوفي في الخيل ولا	تجعل البصري الا في النفل
واذا فاخرتمونا فاذكروا	ماصنعنا بكم يوم الجمل
بين شيخ خاضب عثنونه	وفتى ابيض وضاح رفل
جاءنا يخطر في سابغة	فذبحناه ضحى ذبح الجمل
وعفونا فنسيتم عفونا	وكفرتم نعمة الله الاجل

كسعه : ضربه بصدر قدمه على مؤخره — الرفل : المتبختر ، الكثير اللحم — السابغة : الدرع الطويلة .

https://archive.org/details/@user082170

مع الزمن وتحول اتجاهها ، حتى تبلورت في عصبية للبلد وثبتت عليه .

المدافعة عن أسباب العيش أولاً وقبل كل شيء ثم العصبية للبلد لا للسياسة (عاملاً ثانوياً) هما اللذان لوّنا الخلاف النحوي ولم يوجداه ، لوّناه بشيء من العنف رأيت أنماطاً منه في المناظرات التي مرت بك؛ وفي مثل قول اليزيدي يمدح نحويي البصرة ويهجو الكسائي واصحابه :

ياطالب النحو ألا فابكه … بعد ابي عمرو وحماد
وابن ابي اسحق في علمه … والزين في المشهد والنادي
عيسى وأشباه لعيسى ، وهل … يأتي لهم دهر بأنداد
هيهات ، الا قائلا عنهم … أرسوا له الاصل باوتاد
فهو لمنهاجهم سالك … لفضلهم ليس بجحاد
ويونس النحوي لاتنسه … ولا (خليلا) حية الوادي
وقل لمن يطلب علماً : الا … ناد بأعلى شرف ناد:
« ياضيعة النحو به مغرب … عنقاء اودت ذات إصعاد
أفسده قوم وأزروا به … من بين أغتام واوغاد
ذوي مراء وذوي لكنة … لئام آباء واجداد
لهم قياس أحدثوه هم … قياس سوء غير منقاد
فهم من النحو ـ ولو عمروا … أعمار عاد ـ في (أبي جاد)
اما الكسائي فذاك امرؤ … في النحو حار غير مرتاد
وهو لمن يأتيه جهلا به … مثل سراب البيد للصادي (١)

(١) اخبار النحويين البصريين ص. ٤ — رجل اغتم من قوم اغتام : لايفصح. الحار : الحائر . (ابي جاد : ابجد ، هوز الخ) يريد انهم لايتجاوزون اول العلم لضعف استعدادهم كما ان الصبي في الكتاب اول مايتعلمه حروف (ابجد هوز) .

https://archive.org/details/@user082170

وهجا المبرد البصري ثعلباً الكوفي بقوله :

اقسم بالمبتسم العذب	ومشتكى الصب الى الصب
لو اخذ النحو عن الرب	ما زاده الا عمى القلب

فتمثل ثعلب :

يشتمني عبد بني مسمع	فصنت عنه النفس والعرضا
ولم اجبه لاحتقاري له	من ذا يعض الكلب ان عضا(١)

واراد ثعلب هذا أن يقرأ على المبرد البصري فأنكر عليه اصحابه الكوفيون وقالوا : « مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصري فيقال غداً إنه تلميذه (٢) » فاستجاب لهم عصبية وحرم نفسه الخير .

أثرت العصبية مارأيت فيما كان بينهم ، أما النحو نفسه فلم يتأثر بشيء من ذلك، وإنما حمل طابع العلماء أنفسهم في التفكير والتنسيق سعة وضيقاً ونظاماً وبلبلة .

ولما تقدم الزمن ، واستوى عند الحكام نحويو البصرة ونحويو الكوفة غاب السبب الأول وبقيت العصبية للبلد تخالط بعض النفوس حتى صرت ترى العالم الذي ينبغي أن يتنزه عن العصبية في العلم (ولو بعد ذهاب اسبابها المادية على الاقل) ، تداعبه هذه النزعة فيجمع بين شيئين متنافرين لا لسبب إلا أنهما نبتا في بلد يعزه . وأنا اقدم لك نموذجاً لهذه الظاهرة : الخليل بن

(١) ترجمة ثعلب في بغية الوعاة ص ١٧٣ .

(٢) ارشاد الاريب ١١٥/٥ . ثم ذكر ياقوت ان ابن الانباري اورد هذه القصة ليرفع من ثعلب والكوفيين عصبية ، فوضع منهم .

https://archive.org/details/@user082170

أحمد السجزي القاضي المتوفي سنة (٣٧٨ هـ) ، فقد كان حنفياً في الفقه وكوفياً في النحو ، وفاخر بذلك يقول :

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوة   وسفيان في نقل الأحاديث سيدا
وأجعل في النحو الكسائي قدوة   ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا
وإن عدت للحج المبارك مرة   جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدا(١)

ومن كان حنفياً فأشبه مذاهب النحو بالمذهب الحنفي مذهب البصرة لإحكام القياس فيه ، ولكنه الميل النفسي الشديد إلى الكوفة والولوع بكل ما أنتجت حدوا القاضي على أن يكون كوفياً في النحو والفقه والحديث مهما تنافرت أصول هذه الفنون في الكوفة .

والظاهر أنه كان بين أهل البلدين تنكيت وإرسال قصص واخبار يحمل فيها أهل البلد على البلد الآخر وراجت هذه النكات على نحو ما نرى اليوم بين بلدتين متجاورتين كحمص وحماة في الشام ؛ وزاد هذا الأمر حتى استحق أن تؤلف فيه المؤلفات ، فهذا ابن حبان البستي (—٣٥٤) على جلالة قدره يؤلف كتاباً في عشرة اجزاء في (ما أغرب الكوفيون عن البصريين) وكتاباً في ثمانية اجزاء في (ما أغرب البصريون عن الكوفيين)(٢)

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر (مطبعة روضة الشام) ٥/١٧٣ .

(٢) معجم البلدان : (مادة بست) .ولم اطمئن الى كون هذين الكتابين في الخلاف النحوي ، اذ لم ينقل عن ابن حبان تأليف في النحو ولا تصدر لتدريسه . اما الاخبار فله بها ولوع وله فيها تآليف .

https://archive.org/details/@user082170

تستطيع بعد هذا البيان أن تطمئن إلى شيئين :

١ — ليست السياسة عاملاً في تكوين النحو الكوفي على ما كان عليه.

٢ — إن الصورة التي في نفوس الناس قديماً وحديثاً عن حدة التجاذب والتدافع بين النحو الكوفي والنحو البصري مبالغ فيها .

٥ — كتب الخلاف

عرفت أن النحاة والبصريين منهم خاصة قد انتزعوا علل النحو من كتب محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة بالملاطفة والرفق (ص٨١)، فاعلم الآن أَن منهم من ألف في الخلاف بين النحاة على نمط ما صنع الفقهاء في كتبهم التي ألفوها في الخلاف بين الحنفية والشافعية، وهذا ابن الانباري يقول في مقدمة كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) بصراحة :

« .. سألوني أن ألخص لهم كتاباً لطيفاً يشتمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة ، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأَبي حنيفة ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب وألف على هذا الاسلوب ، لأنه ترتيب لم يصنف عليه أَحد من السلف ولا أَلف عليه أَحد من الخلف ... واعتمدت في النصرة على ما أذهب اليه من مذهب أهل الكوفة أَو البصرة ، على سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف ... »

https://archive.org/details/@user082170

وهكذا تجد تأثير العلوم الدينية واضحاً بارزاً في علوم اللغة كلها مادتها ومنهجها، وإذا رجعت إلى كتاب الاقتراح للسيوطي وجدتهم يصرحون تصريحاً سافراً أيضاً بأنهم وضعوا للخلاف في النحو ولمناقشات مسائله أصولاً كأصول الخلاف بين الشافعية والحنفية(١).

أقدم من ألف في الخلاف ـ فيما علمت ـ أحمد بن يحيي ثعلب الكوفي (سنة ٢٩١) ولم نعرف هل أداره على اصول الخلاف الفقهي أم لا، وأي كان فإليك ما عثرت عليه من أسماء الكتب التي ألفت في الخلاف مرتبة على وفيات أصحابها:

١ — اختلاف النحويين ـ لثعلب (ـ ٢٩١).

٢ — المسائل على مذهب النحويين مما اختلف فيه البصريون والكوفيون(٢) ـ لابن كيسان (ـ ٣٢٠).

٣ — المقنع في اختلاف البصريين والكوفيين ـ لأبي جعفر النحاس (ـ ٣٣٧).

٤ — الرد على ثعلب في اختلاف النحويين ـ لابن درستويه (ـ ٣٤٧).

٥ — الانصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ـ لأبي البركات الأنباري (ـ ٥٧٧) وقد طبع.

---

(١) انظر ص ٧٩ فما بعد.

(٢) في بغية الوعاة: (ما اختلف فيه البصريون والكوفيون) فأثبتنا الاسم كاملا من الفهرست لابن النديم.

https://archive.org/details/@user082170

٦ – التبيين في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين [١] – لأبي البقاء العكبري (ـ ٦١٦) .

٧ – الاسعاف في مسائل الخلاف – لابن إياز (ـ ٦٨١)

والظاهر أَن هناك كتباً كثيرة في الخلاف ، وأنه كانت له ضجة في المجالس والبيئات العلمية ، وكان التعصب على أَحد الفريقين بادياً في بعض هذه الكتب ، ولذا استدرك صاحب (الانصاف) الذي قدمت لك فقرة من مقدمته محترساً بقوله (على سبيل الانصاف لا التعصب والاسراف).

٦ – بعد المذهب البصري والمذهب الكوفي

كانت بغداد حاضرة الخلافة العباسية هي السوق التي كان يروج فيها العلم والأدب ، فكان يرتحل إليها العلماء من الأقطار كافة ، كل يحمل إليها طابع بلده الخاص ، أو بتعبير آخر مدرسة بلده في الفن المختص به ، فالتقت لكل علم وفن أَلوان وطوابع مختلفات، احتكت وتمازجت وكان منها أَلوان جديدة مطبوعة بالسمة البغدادية العامة .وذلك ما كان في النحو ، فقد نشر الكوفيون فيها نحوهم وقصدها نحاة بصريون أيضاً ، ونشأت طبقة جديدة في بغداد اختارت من المذهبين وكونت ماعرف بالمذهب البغدادي ، وقد عقد ابن النديم لهذه الطبقة بابا عنوانه (من خلط بين المذهبين) عد منهم ابن قتيبة (ـ ٢٧٠) وأبا حنيفة الدينوري (ـ ٢٩٠)

---

(١) في بغية الوعاة : (التعليق في الخلاف) .

https://archive.org/details/@user082170

وابن كيسان (ـ ٢٩٩) [١]، والطابع البصري أَغلب على المذهب البغدادي في الجملة كما هو الشأن في بقية الأمصار، ولا عجب في ذلك فإن الأصالة التي فيه فرضت نفسها كما يقولون، وكان ما أخذ من المذهب الكوفي مسائل اتجهوا فيها اتجاهاً أَصح وأَيسر.

وكان للنحو في الأندلس نشاط ملحوظ، وعكف علماؤه وطلابه على كتب البصريين والكوفيين فدرسوهما واختاروا منهما وتكوّن لهم مذهب خاص، فلما نزح متأخروهم بعد النكبة، بعضهم إلى المغرب وبعضهم إلى الشام ومصر، نشروا علمهم في هذه الأقطار وكان مذهبهم كذلك بصرياً في أكثره .. إلى أَن جاء ابن مالك ثم ابن هشام الأنصاري فجددا في النحو بعض التجديد وكانا يميلان إلى التوسعة، فرجحا في بعض المسائل أقوال الكوفيين حين رأيا الرواية الصحيحة تؤيدهم، ولم يتعبدا بأقوال البصريين [٢]، واستشهدا بالحديث فكانا مجتهدين إلى حد ما، ذوي أَثر بالغ في الدراسات النحوية ومازالت كتبهما تدرس حتى الآن في معاهد العلم، وخدمت بشروح وحواش وتقريرات كثيرة.

وكانت تضم البلدة الواحدة نحاة من منازع مختلفة، يطغى عليها أَحياناً مذهب أَهل البصرة وأَحياناً مذهب أهل الكوفة تبعاً لنزعة العالم ذي

---

(١) الفهرست ص ١١٥ وقال ابن النديم «كان ابن قتيبة يغلو في البصريين الا انه خلط بين المذهبين، وحكى في كتبه عن الكوفيين».

(٢) كلمة ابي حيان — الاقتراح ص ١٠٠.

https://archive.org/details/@user082170

الأثر فيها ، فهذه حلب ضمت عالمين في زمن واحد: ابن جني رأس مدرسة القياس الذي كان لمدرسة البصرة إمامها الأعظم وابن خالويه الكوفي المنزع صاحب كتاب (ليس في كلام العرب) الذي اتبع فيه السماع نافيا من اللغة ماجوّزه (فلسفة) نحاة البصرة ، وبعدهما كان في الشام المعري الذي كان واسع الرواية سماعيا إلى أبعد حدود السماع ، يضيق بنحو البصرة الذي كان في أيامه ممتلئاً بالجدل والقياس والتعليل (١) ، وهذه النزعة ظاهرة في كتبه كل الظهور ، وحسبك أن تلم برسالة الغفران لترى نقمته على البصريين خاصة (٢) .

هذه سطور موجزة ألمت فيها بحركة الخلاف بعد البصريين والكوفيين ، لا مجال فيها لتفصيل ما ، لأن ذلك من تاريخ النحو لا من أصوله .

---

(١) انظر في ذلك بحثاً قيماً للاستاذ ابراهيم مصطفى نشره في (المهرجان الالفي لابي العلاء المعري من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ص ٣٦٢ — ٣٧٤ .

(٢) الظاهر ان مذهب الكوفة انتعش في الشام حيناً من الدهر ، وعلة ذلك عندي اعتماده على كثرة الرواية والسماع . والشاميون (أثريون) الى حد بعيد ، يحترمون السماع عن العرب كثيراً ، فيهم اخصب علم القراءات وهو سماع محض ، ولا تنس ان اكثر أئمة البصرة والكوفة هم قراء ايضاً . وعندهم اخصب فن الحديث وهو ايضاً سماع محض وبقي حياً نشيطاً الى زمن قريب ، عنوا عناية بالغة به وبسماعاته وطبقات رجاله واحصاء طرقه ، ونبغ فيهم كبار الأئمة فيه ، ولا تزال دار كتبهم الظاهرية بدمشق اغنى مكتبات الدنيا اليوم في فن الحديث ، وكثير من مخطوطاتها بخطوط مؤلفيها المحدثين انفسهم لا يدانيها في ذلك مكتبة في العالم . وفيها عدة دور (مدارس) للحديث ولقراءات القرآن .

https://archive.org/details/@user082170

الخاتمة

في صدور المشتغلين بالعربية وعلومها اليوم يقين بان في قواعدها شيئاً من البلبلة والتداخل والتطويل ، وفي آرائهم اجماع على وجوب الاصلاح والتنسيق ، وفي قلوبهم ايمان بامكانه بل بيسره وسهولته .

ويحق لقارىء هذا الكتاب بعد ان ألم بطرف من صنيع الاقدمين ان يتساءل: ماذا صنعنا نحن لانفسنا وللغتنا بعد ان مهدوا لنا الطريق ؟ ، هل تقدمنا بها الى الامام ولدينا من مواتاة الاحوال ما لم يكن لديهم ؟ »

مكتبات عامة وخاصة تزخر بالكتب مخطوطة ومطبوعة ، ووسائل للنشر والتعميم واسعة مختلفة ، ولجان في كل بلد فنية رسمية ذات فروع في كل ميدان من ميادين الاختصاص ، ومجامع علمية ، وجامعات ، ونواد وجمعيات ، وحكومات تمد جميع هذا بالمال والسلطان... ثم لاشيء ذا بال وراء ذلك كله. حتى الرسم الاملائي وهو اصطلاح محض ما استطعنا الاتفاق فيه على وجه من الوجوه المتعددة الجائزة ، لنتخذه قاعدة في مدارسنا الابتدائية على الاقل(١).

---

(١) كنا عشرين عضواً في لجنة امتحان الشهادة الابتدائية سنة ١٩٣٠ ، وكان النظام يقضي بحسم علامتين على كل حرف يرسم خطأ فاذا اخطأ طالب في خمس كلمات نال صفراً وحرم الشهادة عامه ذلك ؛ ومع ان هذا النظام اثمر أطيب الثمرات في حمل الطلاب ومعلميهم على العناية بقواعد الاملاء ، كان عيبه الفادح ان القواعد نفسها عند المعلمين غير حاسمة على وجه واحد ، وان روح التنظيم كانت تلقى من كثير منهم عداء مراً : فاذا رسم طالب (مصطفا) هكذا بالالف واراد مصحح حسم العلامتين انبرى له زملاء يحتجون لهـا بمذهب الفارسي ، واذا رسم همزة (يقرأون) هكذا على الف اعتذروا له بان المطابع المصرية ترسمها كذلك ، واذا اسقط همزة (ابن) في غير موضع الاسقاط نبشوا قولا يبرر فعلته . ، الخ فكان المرء الفطن الطارىء عليهم يحار بينهم في امر الرسم : ما الصواب فيه وما الخطأ ؟ ولا يجد القوم على بصيرة من امرهم فيه. وقل نحواً من هذا في اخطاء النحو والصرف .

https://archive.org/details/@user082170

وصرنا ـ ونحن احوج مانكون الى الوقت في عصر الذرة والتأميم والعالمية في كل شيء ـ نبذر اوقات الصغار والكبار في مناقشات طويلة لمسائل خلافية نتنهي منها الى ان لكل وجهاً سائغاً ! ! . وبذلك لم يحظ الرجل العادي ببعض ما يجب ان يعود عليه من خير لقاء الاموال الطائلة التي تنفق على تلك المؤسسات .

• • •

وبعد ، فاذا اردنا اليوم اعادة النظر في بناء القواعد العربية ، وجب ان تتجافى المآخذ التي اخذناها في مباحثنا السابقة على الاقدمين ، علينا اولا ان نحدد هدفنا من القواعد ، فاذا حددناه وضعنا اخصر المناهج واوضحها واسرعها في ابلاغنا اياه . لاجرم ان الاحاطة بكلام قبائل العرب القديمة امر لاسبيل اليه وان تنسيق ماوصل الينا منه على القبائل بدقة امر متعذر الان (١) ، ولاشك في اننا اليوم نصطنع لغة فصحى

ولم يؤت هؤلاء الشيوخ ـ رحمهم الله فقد مات اكثرهم ـ من كسل او جهل ، وانما من انطباع على البلبلة وولوع بها الى حد الجنون ؛ فقد ربوا على حفظ الاقوال المختلفة في كل مسألة وعزوها الى اصحابها دون الفكر فيها ومحاكمتها بغية الوصول الى الحكم الفصل الذي تطمئن اليه النفس .

وقبل نحو عشر سنين الفت لجنة عليا لحسم النزاع الذي كان يحدث كل عام عند تصحيح اوراق الامتحان ، والاعتماد على وجه واحد في كل مسألة ؛ فما اشرف وضع الخطة على الانتهاء بعد نقاش طويل حتى قضى على المشروع كله قول قائل : « وما سلطتنا نحن على بقية الاقطار العربية ؟ واي جدوى في انفرادنا بهذا الاصطلاح وحدنا ومطبوعات جيراننا تغزو طلابنا بما يخالفه ؟ »

وهكذا ترى حتى البلد الواحد لايستطيع حزم امره اذا اراد ، لان اللغة العربية ملك شائع بين البلاد العربية كلها ، بل بين الازمان أيضاً اذا جاز هذا التعبير .

(١) ولو ان الاقدمين فعلوا في اللغة مافعله ابو عمرو الشيباني في الشعر لخدموا خدمة جلى وأراحوا من بلبلة كثيرة ؛ فقد جمع اشعار العرب مصنفة على قبائلهم وكانت نيفاً وثمانين قبيلة ، فكان كلما عمل منها قبيلة واخرجها الى الناس كتب مصحفاً وجعله في مسجد الكوفة حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً بخطه — الفهرست ص ١٠١ .

https://archive.org/details/@user082170

يفهمها الرجل العادي فيما بين المغرب الاقصى وخليج فارس، بل يفهمها كل من تعلم العربية من الاعاجم ، وأن لنا تراثاً علمياً وادبياً ضخما تحفل به المكتبات الخاصة والعامة في ديار الغرب والشرق ، هذه واحدة ؛ اما الثانية فان لغة القرآن والحديث بوجه خاص ولغة قريش بوجه عام هي الغالبة الشائعة ، نقرؤها في الكتب قديمها وحديثها ، وفي صحف اليوم ومجلاته وجميع اذاعاته العربية الصادرة في بلاد العرب اوفي البلاد الاجنبية، يستوي في ذلك ابناء العربية والذين شدوا منها شيئاً من الاجانب عنها . واظن بعد ذلك ان الطريق واضح ، فعلينا اهدار كل لغة لا نستعملها نحن اليوم ولم تستعملها اللغة الشائعة في القرآن الكريم والحديث وكتب الادب والتاريخ وسائر الفنون الحضارية التي تركها اسلافنا ، ثم نؤسس قواعدنا على هذا التراث الموثوق به والذي كفلت له اصالته الحياة ، نستقصي مفردات القرآن وتراكيبه في جميع قراءاته ، ونمعن النظر فيما اطمأننا الى صحة صدوره عن اهل الصدر الاول من الحديث، ثم فيما نطمئن اليه من نثر الاقدمين ثم نبني بعد هذا الاستقصاء قواعدنا على ذلك كله متوخين اقصر الطرق واسهلها، والاشيع ثم الاقيس فيما فيه لغتان فصيحتان ، وانا واثق بعد ذلك اننا نهدر ركاماً ضخما من قواعد وتفريعات واستثناءات بنيت على شاهد مجهول او لغية محرفة ،اوضرورة شعرية ، ونهدر ازاءه مقداراً ضئيلا لا يعتد به من خلاف اللهجات . وتكون القواعد هذه اقرب الى روح العربيه من القواعد القديمة التي افقدها انسجامها حشر النحاة فيها ماهب ودب مما لا يرجع الى نظام ولا يجمعه نسق . واكبر دليل على قولي انك تجد كثيراً من الاحكام التي ضخمت النحو لم يستعمله احد منذ دونت تلك الاحكام حتى الآن ، ولم يستعمله احد قبل ذلك الا نادراً في الشواهد التي اثبتوها ان صحت .

اعادة نظر في اسس النصوص الشائعة الموثوقة ، ومنهج علمي سهل في بناء القواعد عليها كفيلان بابلاغنا الهدف المنشود .وربما اهدرت في سبيل ذلك بعض لهجات عربية فصيحة هنا وهناك، الا ان ذلك اذا قيس الى ما نستريح منه من اكوام القواعد القديمة بدا غير ذي بال.

هذا ما نقترحه خدمة للفصحى وتيسيراً لنشرها اليوم ، فاذا تم ذلك اقتصدنا اكثر من نصف الوقت الذي يقضيه الطالب في المدارس لدراسة النحو ، وانتفعنا به في الاكثار

من دراسة النصوص الادبية المختارة ،فذلك اعود على احياء الفصحى وملكة الطالب.

اما النحو الحاضر بمطولاته وشروحه وحواشيه ، بقديمه وحديثه وتاريخه وطبقات اهله فيبقى موضوع الدرس والتثقف في المعاهد والكليات والمجامع وعند اهل الاختصاص: يدرس مادة وتاريخاً وتطوراً ، على شرط تنسيقه على اساس الروح العلمية التي ألمعت اليها آنفاً : تحقق نصوص شواهده ، وتطبق بدقة اسس الاحتجاج بها ، ثم تدرس بعد استقراء الموجود منها على ماقدمت من تصنيفها ثم تبنى عليها احكام صحيحة تستند الى احصاء الاحوال في هـذه النصوص ، فتماز الاحكام المطردة من الاحكام الغالبـة ، والاحكام القليلة من الاحكام النادرة ،وتنسب اللهجات الى اصحابها على قدر الامكان وتفرد ماألجأت اليه الضرورة الشعرية فلا يعيث بين الشواهد والاحكام بلبلة واضطراباً بل يصنف على حدة فللشعر رخصه الخاصة ، او بعبارة ادق : نحوه الخاص ، كما له لغته الخاصة ووزنه الخاص

• • •

الحاجة الى الاصلاح ماسة ، والطريق اليه سالكة ، والامور مواتية ، والشعوب العربية تنفق بسخاء ،والعاملون الاكفياء كثيرون ،واكثر منهم الغير المخلصون ولكن... فقدنا في الذين وضعهم الزمن في اعلى الهرم ووكل اليهم الخطوة الاخيرة ، اموراً ثلاثة: الوعي والاخلاص والمضاء ، فضاعت بذلك كل الجهود المبذولة ، شأنهم في ذلك شأن الحلقة العليا في السياسة وفي الدين وفي الاقتصاد .. الخ فحرمت الامة بلادة هؤلاء كل خير وذهبت جهودها واموالها واعمارها وجهادها وحتى بعض بلادها ادراج الرياح، وقد كانت على قاب قوسين من النجاح .

نسأل الله ان يمن عليهم جميعاً بهذه الثلاث: الاخلاص والوعي والمضاء .

اللهم آمين يا رب العالمين

https://archive.org/details/@user082170

فهرس الموضوعات

https://archive.org/details/@user082170

جدول الخطأ والصواب

ص	س	الخطأ	الصواب
٣	٥	حتى	قبل
١٧	٢١	إذا	إذ
٤٢	١٠	راوية	رواية
٦٥	١	يسبقه	يسبقه اليه
٦٦	٩	يسمع	يسمع من
٧٩	١٣	محتاج	بمحتاج
٩٨	٧	ثلاثه	ثلاثيه
١١٠	١٧	هذين	هذين؛ هذا اذا كان قوله (الصغير، والكبير) صفتين للاشتقاق لا للكتاب .
١٤١	٦	عينية	عيينة

مراجع الكتاب

أخبار النحويين البصريين لابي سعيد السيرافي ـ المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٣٦ م

ارشاد الاريب لمعرفة الاديب (المعروف بمعجم الادباء) لياقوت ـ مطبوعات دار المأمون بمصر ١٣٥٥ هـ

اسواق العرب في الجاهلية والاسلام لسعيد الأفغاني ـ المكتبة الهاشمية بدمشق ١٩٣٧ م

الاشتقاق والتعريب لعبد القادر المغربي ـ الطبعة الثانية : لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر ١٩٤٧ م

الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني ـ مطبعة التقدم بمصر (التزام ساسي)

الاقتراح للسيوطي ـ مطبعة المعارف بحيدر آباد ١٣١٠ هـ

أمالي الزجاجي ـ الطبعة الثانية : المطبعة المحمودية ١٣٥٤ هـ

الانصاف في مسائل الخلاف لابن الانباري ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة

بغية الوعاة للسيوطي ـ مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ

البيان والتبيين للجاحظ ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة

تاج العروس من جواهر القاموس ـ المطبعة الخيرية بالقاهرة ١٣٠٦ هـ

تاريخ دمشق لابن عساكر ـ مخطوطة دار الكتب الظاهرية رقم (تاريخ ١ ـ ٢٦)

تاريخ اللغات السامية لاسرائيل ولفنسون ـ مطبعة الاعتماد بالقاهرة ١٩٢٩ م

التطور النحوي لبرجستراسر ـ (أملاه في كلية الآداب بالجامعة المصرية)

التفسير الكبير للفخر الرازي ـ المطبعة المصرية ١٣٥٢ هـ

تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر : لعبد القادر بدران ـ ١ ـ ٥ (مطبعة روضة الشام ١٣٣٢ هـ) ٦ ـ ٧ مطبعة الترقي بدمشق

حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي) ـ دار الطباعة ببولاق ١٢٨٢ هـ

الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لآدم متز ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة (الطبعة الثانية ـ ١٩٤٧)

خزانة الادب للبغدادي ـ المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨ هـ

الخصائص لابن جني ـ مطبعة الهلال بمصر ١٩١٣ م

https://archive.org/details/@user082170

شرح شذور الذهب لابن هشام الانصاري — مطبعة الاستقامة بالقاهرة (الطبعة الثالثة ـ ١٩٤٦)

شرح شواهد المغني للسيوطي — المطبعة البهية بمصر ١٣٢٢هـ

الشعر والشعراء لابن قتيبة — نشر دار احياء الكتب العربية ١٣٦٤ هـ

الصاحبي لابن فارس — المطبعة السلفية بالقاهرة

صبح الاعشى للقلقشندي — المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣٣١هـ ١٩١٣م

ضحى الاسلام لأحمد أمين — لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨م

الضرائر للألوسي — المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤١ هـ

طبقات الحنابلة لابن ابي يعلى (اختصار ابن قيم الجوزية) — مطبعة الاعتدال بدمشق ١٣٥٠ هـ

عيون الاخبار لابن قتيبة — دار الكتب المصرية ١٣٤٣هـ ١٩٢٥م

الفهرست، لابن النديم — المطبعة الرحمانية بمصر

القراءات واللهجات لعبد الوهاب حمودة — مطبعة السعادة بمصر ١٩٤٨م

القياس في اللغة العربية لمحمد الخضر حسين — المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٥٣ هـ

الكتاب لسيبويه — المطبعة الكبري الاميرية ببولاق ١٣١٦هـ

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري — مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٣٦٥ هـ

لسان العرب لابن منظور الافريقي — المطبعة الميرية الكبرى ببولاق ١٣٠٠ هـ

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

مجلة مجمع اللغة العربية الملكي

المزهر للسيوطي — دار احياء الكتب العربية ـ القاهرة (الطبعة الثانية)

المصباح المنير للفيومي — المطبعة الاميرية بالقاهرة (الطبعة السادسة ١٩٢٥)

المطالع النصرية للهوريني — المطبعة الميرية ببولاق ١٣٠٢ هـ

المغرب في ترتيب المعرب : للمطرزي — مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن ١٣٢٨ هـ

مغني اللبيب لابن هشام الانصاري (حاشية الدسوقي عليه) — دار الطباعة الاميرية بمصر ١٣٠١ هـ

نزهة الالباء لابن الانباري — طبعة على الحجر ١٢٩٤ هـ

النشر في القراءات العشر لابن الجزري — مطبعة الترقي في دمشق ١٣٤٥ هـ

وفيات الاعيان لابن خلكان — مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨

https://archive.org/details/@user082170

آثار المؤلف المطبوعة

— أ —

	الناشر
اسواق العرب في الجاهلية والاسلام .	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٧
ابن حزم الاندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة.	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠
الاسلام والمرأة .	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥
عائشة والسياسة .	لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة سنة ١٩٤٧
في اصول النحو .	الجامعة السورية سنة ١٩٥١

— ب —

الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة : للزركشي .	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٣٩
في المفاضلة بين الصحابة : لابن حزم (نشرت مع كتاب ابن حزم الاندلسي) .	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٠
سير النبلاء: للذهبي (جزء خاص في ترجمة ابن حزم).	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤١
سير النبلاء: للذهبي (جزء خاص في ترجمة السيدة عائشة).	المكتبة الهاشمية بدمشق سنة ١٩٤٥
تاريخ داريا : للقاضي عبد الجبار الخولاني .	المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٥٠

https://archive.org/details/@user082170